

الفردوسي
الشاهنامه
ملحمة الفرسان الكبرى



دار العلم للملايين - بيروت

الشهادة

الشهادة

ملحمة الفرسان الكبار

للأبي القاسم الفردوسي

ترجمة: سمير ماضي

دار العلم للملايين

ص.ب. ١٠٨٥ - بيروت

ما قبل الانشقاق

في البدء ، مَلَكَ العالم كله مَلِكٌ يُدعى جيومرت ، وقد خصَّه الله بعناية فائقة . فبالإضافة إلى قوته وشهامته ، حبَّاه جمالَ الوجه وبهاء الطلعة . وجعَلَ مركز إقامته في الجبال ، ومنه انتشرت الحضارة في العالم . وارتدى جيومرت جلد النمر ، فكان سَبَّاقاً في هذه البِدعة ، لأن الثياب كالطعام تماماً لم تكن قد عُرِفَتْ بعد . وكان جميع الإنس والجن يخضعون لمشيئته ، فازداد عظمةً وجبروتاً ممَّا أدى إلى انبثاق الديانة .

وكان لجيومرت الملك ، ابنٌ يُدعى سيامك ، أحبه حبّاً جمّاً ، وربَّاه تربيةً جديرة بالملوك ، مُحافظاً عليه ، مُبعداً إياه عن كل أعمال الجن والسحر . فلما

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٩٧٧

الطبعة الثانية

أيلول (سبتمبر) ١٩٧٩

ذات يوم بينما كان اوشهنيج على سفح أحد الجبال ،
ظهرت له حية ، عيناها كبرك من الدم ، ولهبها دخان
أسود يغطي العالم بدكته ، فتناول حجراً ، ورماه بها
لدرء خطرهما ، فاصطدم الحجر من قوة الضربة بصخور
الجبيل ، وأحدث باصطدامه شعلة متوهجة . فأفلت الحية ،
وكانت النار .

سرَّ اوشهنيج باكتشافه ، فسجدَ شاكراً ربه تعالى على
تلك النعمة ، مُتخذاً النار قبلة ، وهذا سبب تعظيم النار
عند الفرس .

لما خيم الظلام أشعل اوشهنيج ناراً كبيرة ، انتشر
وهجها في معظم الأرض ، حتى ظنَّ أن الشمس لم
تغرب ، والنهار لم ينته . وظلَّ ملوك الفرس أباً عن جد
يحتفلون بتلك الليلة الفريدة التي أصبحت عيداً يُعرف
بالسُدق . استمرَّ اوشهنيج حاكماً بمعوة الله ، مستغلاً كل
شيء من حوله لخدمة شعبه . فاستخرج الحديد من الحجر ،
وصنع منه القوس والحراب . وشقَّ الجداول إلى الصحارى ،
وبذر البذور فيها ، ونمّاها بالمياه ، واتخذ من جميع البهائم
كل نوع يصلح للعمل كالبقر والحمر وغيرها ، واصطاد
الحيوانات البرية ، واستعمل جلودها للملابس والمفارش .

نشأ ، وظهرت منه بوادر السلطنة ، ظهر لسه عدو من
الجن ، أخذ يتبع تنقلاته وأفعاله ، قاصداً إهلاكه . فلما
علمَ بذلك ، قرر محاربة ذلك الجن ، فترل للاقائه لابساً
جلد النمر . لكن الجن سرعان ما أنشَبَ غخابه في صدر
سيامك ، فأرداه قتيلاً غير آبه بحال منظره ، وجلال
طلعته ، ومُلْكِ أبيه الواسع .

علمَ ملك الملوك جيومرت بموت وحيده ، فحزن
عليه حزناً شديداً وتدفقت مشاعره أنيناً متواصلاً ، وزفيراً
ملتهباً ، ودموعاً ساخنة جرت كالدماء . وجاء جميع
القوم يشاركونه فجيعة . وبقي على تلك الحال سنة كاملة .
وكان لسيامك ولدٌ يدعى اوشهنيج ، سلّمه جده
مقاليد الزعامة والحكم . وقرراً معاً مقاتلة الجن على رأس
جيش مؤلف من الجن والحيوانات الضارية والأليفة . وبعد
معركة ضارية جرت بينهما ، استطاعت الوحوش الفتك
بالجن ، وأردته قتيلاً . وبذلك يكون الانتقام لدم
سيامك قد تمَّ على أكمل وجه .

مات جيومرت بعد ثلاثين سنة من الملك ، وبقي اوشهنيج
ملكاً ، ذا رأي رصين ، مُحافظاً على سمات العظمة التي
انتقلت اليه عبر أسلافه .

فعمَّ الرخاء والعدل عهده ، وطاب العيش . لكن سيف
المنية لا يُبقي على حيٍّ ، فعاجله الارتحال عن هذا العالم ،
ومات بعد أن ملكَ أربعين سنة .

مات الأب ، فتولى الابن طهمورت الملك والقيادة
الحكيمة . وأخذ يتدرج في اكتشافاته من حقل إلى آخر ،
حتى استطاع ان يروض الوحوش الكاسرة .

وحدث ان الجن تآزروا ضده لأنه سجن عفريناً منهم .
فما كان منه إلا أن حاربهم وانتصر عليهم ، وسجن الكثير
منهم ، فما استطاعوا احتمال حياة الذل والقهر ، فعاهدوه
على تعليمه الخط والكتابة على ثلاثين نوعاً من الألسنة
المختلفة ، إن هو أطلق سراحهم . فكان ذلك بداية لانتشار
الخط بين الخلق .

الانشقاق

سار جمشيد على خطى أجداده بعد وفاة أبيه طهمورت .
فأحسنَ معاملة شعبه، ونشر بينهم العدل والإحسان والرحمة .
وبفضل ذكائه ، تفنن في صنع آلات الحرب من سيوف
ورماح وخيود ودروع حتى استكفى . واتخذ الكتّان
والحرير والصوف بعد غزلها ونسجها مادة للملابس .
وانتشرت الصناعات ، وعمَّت أقطار الأرض . ووضع
الجن تحت إمرته وسخرهم بأعمال صعبة ، وقسم الناس
إلى كهّان وحمّارين وزرّاع وحرفيين ، وبني المدن ،
واستخرج المعادن النادرة . وعرف أسرار الصناعة الطبية ،
وما يستتبعها من علوم ، كعلم الأدوية . وتنقل بمركبة في
أطراف الأرض ، وطار إلى كل الممالك على سرير مرصع

بألوان الجواهر ، حمّلةُ الجن في أول يوم من السنة وقت حلول الشمس في برج الحمل . فسُرَّ سروراً عظيماً ، وانتشى بأفداح الخمر ، ليُعْرِفَ ذلك اليوم بالنيروز ، وليبقى عرفاً مقدساً عند الفرس . فلما استكمل جميع أسباب العز والرخساء ، تجبرَّ وتكَبَّرَ وتسلَّطَ وتغلى عن المعونة الإلهية . فاضطرب حكمه ، وعمت الفوضى ، ودبَّ الذعر ، وانتشر الفساد ، وهرب العلماء والحكماء ، وارتجَّت بذلك الأرض والسما .

انشقَّ ملوكُ الفرسِ أجمعون عن طاعة ملكهم الأكبر ، واستبدوا في الرأي والملك ، واجتمعوا الى الضحَّاك ابن ملك العرب ليخلصهم من جمشيد . فما كان منه إلا أن نصب نفسه ملكاً عليهم ، وقصد جمشيد الذي هرب الى أرض الهند واختفى ليظهر بعد مرور مائة سنة . فقصده الضحَّاك ثانية ، وقضى عليه ، آمراً بقتله بالمنشار بعد حكم دام سبعمائة سنة .

أما الضحَّاك ، فهذا لقبه ، وهو يوراسب بن مرداس ملك العرب الذي عُرفَ بصلاح حكمه ، وجهه لشعبه . وهو شاب يقني آلاف الخيل المسرجة بسروج الذهب والفضة ، والمرصعة بالجواهر الثمينة . يحب اللهو والطرب

والصيد والطرْد . وكان له من الجن خادمٌ يُدعى إبليس ، وضع نفسه في خدمة الملك الشاب بعد أن ظهر له في زي شاب جميل . فلما نال ثقة الملك بخدماته المرضية ، استطاع أن يفرض رأيه ، وان يُغري الملك الشاب باستلام الحكم من والده بقتله ، وفرَضَ سيطرته ومُلْكِهِ على العرب أجمعين .

لكن الضحَّاك تردد في بادئ الأمر ، فكيف يقتل والده دون أن يُجَازِي على فعلته ؟ أما إبليس ، فظلَّ يُوسَّس للضحَّاك حتى وافق هذا الأخير على قتل والده .

وذات ليلة ، كان الملك الأب قد خرج ليتطهر في بستان اتخذهُ نخلواته وعباداته ، فسقط في بئر مغطاة بالحشيش . ولما لم يستطع النهوض ، جاء إبليس وطمرها بالتراب ، وسوَّاهَا بالأرض ، وانتهى من الملك الأب ليسلمَ ملكَ العرب إلى الضحَّاك . لكن إبليس عاد وظهر في شكل طبَّاح ، بعدما استلم الضحَّاك ملكَ أبيه . فقَبِلَهُ هذا الأخير في خدمته ، وسلَّمَهُ مطبخه الملكي . فصار يتفنن في صنع الأطعمة ، معتمداً في أصنافها على لحوم الحيوانات بعدما كانت النباتات تشكل الطعام الرئيسي . أعجِبَ الضحَّاك بصنيع هذا الطَّبَّاح ، فأحبَّ أن

ووصلت أخباره المشرق والمغرب تبشّر بزوال ملكه
ودنو أجله .

ذات ليلة كان نائماً ، فرأى رؤيا ، قضت مضجعه ،
وأزعجت نفسه . فلما استفاق ، جمع جميع العلماء والمنجمين
والكهّان والسحرة ، وأمرهم بتفسير تلك الرؤيا . لكنهم
لم يستجيبوا لأمره ، لأنهم لو فعلوا ، لبطش بهم ، ثم
جمعهم مرة ثانية وثالثة وألحّ عليهم بالسؤال عن أخبار
ملكه وزوال عهده . فتقدم مسن بينهم حكيم طاعن في
السن ، قد مارس العلوم ، وعرف الأحكام ، وعبدَ
الله تعالى ، فأورثه علماً كاملاً ، وأدباً بارعاً . فقام وقبل
الأرض وقال : « لم يُخلق إنسان للبقاء ولا للخلود ،
فاستعد لاستقبال أمر ربك الباقي الوحيد ، الذي قضى أن
تكون نهاية حياتك ومُلْكِكَ على يد ملك اسمه أفريديون
لما يولد بعد » .

صعق الضحك من كلام الحكيم . فسأمر في طلب
أفريديون ، مرسلًا الرُّسل في أطراف البلاد للفتك به
والتخلص منه .

يكرمه ويحسن إليه . فسأله : « ماذا تطلب ؟ » .
أطلق إبليس لسانه بالدعاء ، داعياً للملك بدوام ملكه ،
وثبات عزه . وطلب منه أن يقبل منكبه . فقَبِلَ الملك
متعجباً ، وتقدم إبليس مقبلاً منكبه . فما ان فعل ذلك ،
حتى غاب عن الأبصار ، واختفى في الأرض ، وظهر من
كل منكب حية سوداء أربعت الملك والجمع وأفزعتهم .
حضر الأطباء والحكماء ، ونصحوا الملك بقطع المنكين .
فلما قُطعتا نبتا في الحال كما كانتا ، وظلّتا على ذلك حتى
عجز كل الأطباء عن مداواة ذلك الداء . ثم ظهر إبليس
متنكراً بزي طبيب ، وقال للملك : « إنه قضاء أجراه
الله عليك ، ولا بد من تربية الحيتين وإطعامهما من أدمغة
الناس حتى تسريح . فإن فعلتَ ، قل اضطرابهما ،
وخفّ أذاهما » .

وكان مُرادُه من ذلك كله ، أن ييسط الملك يده في
قتل خلق الله تعالى ، وسفك دمائهم ، حتى يخلص العالم
من كل أبناؤه .

مضت السنوات والضحك ما زال كل ليلة ، بأمر
برجلين يُقتلان ويستخرج دماغها طعاماً للحيتين . واستبدَّ
بالخلق ، ونشر الرعب والذعر والجور في نفوس شعبه .

في الأقطار التي يحكمها . فأخذت الولد ، وهربت به الى بلاد الهند ، وقصدت جبلاً عظيماً قريباً من أرض الهند، يقيم عليه راهب متنسك فاسترحته ورجتسه وأطلعته على سرها ، وسر ولدها . فقبل لإيواءه ، ولم يزل يربيته ويعلمه مكارم الأخلاق ، ويهديه الى مناهج الخيرات حتى نشأ وترعرع . فلما راهق ، نزل من الجبل وزار أمه ؛ فأعلمته بما كان مخبئاً عليه . فقرر الثأر لدم أبيه . لكنها نصحتة بالتروي وأخذ الأمور بالمهادنة ، لأن فورة الشباب التي تتأجج في دمه قد تخونه ، فلا يستفيق إلا وهو نادم.

أما الضحّاك ، فان اسم افريدون كان يهز عرشه ويقض مضجعه . لذلك قرر دعوة كل حكيم وعالم وأجبرهم على توقيع محضر يقرّون فيه كذباً بأن الملك ما زال مثابراً على بث العدل والإنصاف بين الرعية ، وأنه يعمل ، كل ما يعمل ، من أجل راحة قومه وخلّص شعبه . وبينما هم يشهدون على ذلك المحضر ، إذا بصراخ عظيم يملأ الأسماع من باب الإيوان . فلما سأل الضحّاك عنه ، أجيب بأنه صراخ حداد يُدعى جاوه ، وجاء يشكو أمره . فسمح له بالثول بحضرته ، فلما مثّل وقدم إخلاصه قال : يا أيها الملك ، مالي أراني قد انتقيت من البشر أجمعين

أفريدون

وُلِدَ أفريدون في تلك السنة ، صبيّاً جميلاً نخّصال على وجهه أمارات السعادة والمُلك . فربّته والدته ، وأدبته تأديباً جيداً . أما والده ، فقَتِلَ مع الذين قتلهم الضحّاك ليطعم دماغهم للحيتين .

خافت الوالدة على ولدها من شر الضحّاك ، فهربت به الى مرج تكسوه الخضرة ، يَخْصُ راعياً يملك قطعاناً كبيرة من الغنم والبقر . فتعهد للوالدة بالمحافظة عليه ، وأخذ يغذّيه من لبن بقرة خلقها الله على لون يسر الناظرين، ويعجب الخلائق أجمعين .

رجعت الوالدة بعد مضي ثلاث سنوات تريد أخذ ابنها ، لأن بطش الضحّاك كان قد تفاقم ، وانتشر بأسه وظلمه

لأقدم آخر أولادي طعاماً للحيثين ، وأنا الذي كان بالأمس قد قدم كل أولاده » . فأمر الملك برد ولده عليه ، واستعطفه بالإحسان إليه ، وطلب منه أن يشهد على المحضر المُعد . فأخذه بيده ، ورأى عليه معالم العُباد والزهاد والعلماء . فاستشاط غضباً ومزق المحضر ، وصرخ فيهم داعياً إياهم للتخلص من حكم الملك الجائر ، وتوجه إلى محله في المدينة ، وأخذ قطعة جلد يغطي بها الحداد قدمه عند تطريق الحديدة المحاة ، ورفعها على رأس عصا تشبه العلم ، وأخذ يُنادي بطاعة أفريدون . فتبعه من المظلومين خلق كثير ، وتوجهوا معه قاصدين أفريدون . فلما رآهم ، أيقن أن تباشير صبح دولته قد همت بالطلوع ، واستبشر خيراً بتلك الراية المرفوعة ، وكانت تسمى « درفش جاويان » . وظلّ ملوك الفرس يتوارثونها بعدما رصعوها باللآلئ والياقوت ، وزينوها بالديباج والحريير ، فكانت بشرى للسعادة والنصر أنتى رُفعت .

أما أفريدون ، فقد توجه إلى والدته قاصداً إخبارها ، عازماً على منازلة ذلك الظلوم الغشوم ، واستشار لذلك صديقين له من أولاد المرازبة ، مخصوصان برزانة الرأي ورصانة العقل ، وأمرهما بأن يحضرا له عند أحذق الصناع

وأذكاهم ، جزراً من الحديد على شكل بقرة كان قد استحذتها بفكره ، وأخذ يجمع العدة لمنازلة الضحّاك . فلما تمّ له عدد وافر من الرجال والأبناء والبُهم ، قطع بهم الصحارى والجبال ، فوصل إلى شاطئ دجلة يريد عبره بالزوارق والمراكب الموجودة . فامتنع أصحابها عن ذلك طالبين منه جوازاً من الملك نفسه . فاحتدم غيظاً ، وعبر النهر على سروج الخيل . وتابع إلى أن قَرُبَ من بيت المقدس ، فرأى القصور المنعة ، والشرفات العظيمة ، فعلم أنها للضحّاك . ثم أمر جنوده بالهجوم عليها بغنة قبل انتباه أصحابها إلى وجودهم ، ففعلوا ودخلوا المدينة واحتلوها . وتوجّه أفريدون إلى الإيوان الرفيع والقصر المنيع ، فدخله ظافراً ، ومثلك كل ما فيه من ذخائر وجواهر ، وأطلق سراح مسجونيه . وكانت بينهم شقيقتان لجمشيد ، كان قد أسرها الضحّاك عندما استولى على الملك . فلما رآيا أفريدون ، سالت دموعهما ، وأخبراه بأن الضحّاك ذهب مع جمحافل عسكره إلى الهند لسفك دماء شعبها ، واستباحة ذخائرهم وأموالهم على عادته الذميمة ، وسيرته القبيحة .

جلس أفريدون على عرش الضحّاك بين معاونيه وجواريه

ودخل عليه وزير الضحّاك كندرو ، فخرّ ساجداً بين يديه ، وأطلق لسانه بالدعاء لاستدامة ملكه الملكي ، وتخاذثا طويلاً عما قاساه الناس من ظلم الضحّاك . وفي الصباح ، مع طلوع الفجر ، ركب الوزير حصانه وتوجه إلى الضحّاك ليعلم ماذا هو فاعل بملكه . فلما وصل ، دخل عليه وأخبره بانتصار أفريدون وبأنبائه الباهرة . فاحترق غيظاً وأمر عسكره بالارتحال ، فنهضوا وساروا متجهين نحو بيت المقدس ، فلما وصلوا ، هجموا بغتة كالسيل المتلاطم والليل المتراكم ، ونزلوا قتلاً وسفكاً بأهل المدينة . فأخذ هؤلاء ينادون بشعار أفريدون ، ويستعيذون بأمانه . فاحتدم غيظاً وأخذ وهماً ، وتسلق قصره خفية ، ودخل من أعلى الإيوان على أفريدون ، فألفاه جالساً مع جواريه ، فعلق الوهق وصوبه تجاه أفريدون ، ونزل عليه كالسهم المنتهب . لكن أفريدون استطاع أن يتنحى عن طريقه ، فوقع بين يديه ، وهم أن يذبحه من الوريد إلى الوريد . لكن الملك الذي مثّل فجأة بين يديه ، نهاه عن ذلك ، وعوضاً ، أمره بتعذيبه وحجسه في جبل دُنياوند طوال الزمان . ففعل واقتاده إلى مغارة في ذلك الجبل فقيده وسمّره وأودعه هناك يُعذّب فيها إلى يوم القيامة لسوء عمله وقبح أثره .

استهلّ أفريدون عهده بمجلس عظيم حضرته الخاصة والعامة ، فدعوا له بطول البقاء ودوام الملك . وأخذ يشرب معهم من أوان مكلّلة بالآلآء ، وفضيات موشحة بالجواهر . ودخلت المغنيات والجواري المسمعات ، وانتشر الغلمان يديرون الأقداح . وأمر أفريدون بنثر الدنانير على الحاضرين ، حتى بات المجلس كأنه روضة أو فردوس . فأصبحوا وأمسوا حتى اشتهر ذلك النهار وعُرفَ بعيد « المهرجان » . أما والدة أفريدون نامك ، فلما بُشّرت بما آت إليه ولدها ، هالت باكية ساجدة لله ، تغفّر خدّها في التراب . ثم أمرت بالجواهر للمبشرين ، وتصدّقت على الفقراء والمساكين شاكرة الله على ما خصّ ولدها من نعيم .

أخذ أفريدون ينظر في شؤون رعيته . فبسط العسطل والإنصاف ، وهدم قواعد الجور والظلم ، وطاف في المشرق والمغرب حتى عرف بحسن السياسة ، ووفور الرحمة والرأفة . ولما بلغ الخمسين ، رزق ثلاثة أشبال من بنتي جمشيد فأخذ يربّيهم كما ربّي علي الطاعة والإيمان . فلما بلغوا أراد أن يزوجهم ، فاستدعى وزيره جندل وأمره بالتطواف في أنحاء البلاد مفتشاً عن أخوات ثلاث من البيوت الكبار والقبائل الشريفة ، يصلحن للاتصال بهؤلاء الأشبال .

شائبة ، ولا تفرّ همهم عن نشر المحبة والرأفة والإنصاف .
 مرّت السنوات تلو السنوات ، فوجد سلم أن أباه قد
 آثر ايرج بالعرش الباهر ، وأفضل المالك ، وأنه زحزح
 الآخرَين الى طرفَين بعيدَين من نواحي الأرض . فامتلاً
 قلبه غيظاً ، وتراسل مع شقيقه الأوسط مُحَرِّضاً ، مطالباً
 بالملك ، وحثته في ذلك انه كان من الأجدر بوالده أن
 يجعله ، هو الأكبر وليّ عهده ، فإن لم يرد ذلك جعله
 للأوسط ، ولكن ، ليس للأصغر ليصغر سنه ، وخور
 عنان عقله . فاجتمعوا ، وتعاهدا على السراء والضراء
 والمطالبة بتغيير ما قرّر لها . وأرسلا رسولا إلى والدهما
 يُعلّمانه بما قررا ، فإن أبى ، حولا ملكه الواسع الى أرض
 خراب ، وملكا التاج والعرش قهراً .

امتل الرسول في حضرة أفريدون ، وبعدما اطمأن
 الوالد الى قُرتي عينيه ، وفلذتي كبده ، وسأل عن أخبار
 ممالكها الواسعة ، اعتذر الرسول عن الكلام الذي سيتفوه
 به ، فطلب الأمان ، فأعطِي له ، وأخبره عما يدور
 في خلد ولديه من دسائس ومؤامرات . فاتغظ افريدون
 غيظاً ، واستشاط غضباً ، فأبرق وأرعِد وأعذر وأُنذر .
 لكن ايرج هدّاه ، وعن غضبه أرجعه وقال له :

انطلق جندل في تطوافه سائلاً ، باحثاً ، مدققاً حتى
 عثر على بُغية ملكه عند سرو ملك اليمن الذي وافق على
 طلبه بعد التفاوض والتشاور مع وزرائه وأركان دولته خشية
 التعرض لغضب أفريدون .

ذهب الأشبال الثلاثة الى حضرة ملك اليمن ، فبقوا
 عنده ردىاً من الزمن ، ثم عادوا مع زوجاتهم الى حضرة
 أبيهم . وبينما هم راجعون ، أراد والدهم أن يمتحنهم ،
 فتنكر بشكل تين ضخّم ، تكاد الأسود من منظره ترتطم .
 فتنتطح لهم طالباً منازلهم . فهرب الابن الأكبر آثاراً للسلامة ،
 فسباه والده فيما بعد « سلم » . وأخرج الأوسط سيفه
 لمحاربته ، فسباه « تور » . أما الأصغر فهدده باسم والده
 الملك أفريدون ، وأمره بالانصراف إن هو أراد أن يبقى
 حياً ، فسمّاه « أيرج » . ثم قسم ممالك الأرض فيما بينهم ،
 فعينّ لسلم أرض الروم وبلاد المغرب وما تاخمها من الممالك ،
 ولتور بلاد الصين والترك وسائر ما يُضاف إليها من تلك
 الولايات ، ولأيرج ممالك العراق مع أرض بابل الى آخر
 بلاد الهند ، وجعله وليّ عهده ، واهباً إياه إكليل حكمه
 الرئاسع ، وعرشه الباهر ، وفضاء مملكته الواسع . فحكم
 الثلاثة في بادئ الأمر بسلام وسعادة ، لا تشوب عهودهم

كانت المالك لا تُحكّم إلا بالمداورة والمناورة ، رأيت أن أركب اليهما ، وأنخف من حسدهما ، علي أجد في ذلك السبيل الشافي والعذر الوافي لإنقاذ ممالكنا الواسعة من هلاك عظيم . فاتجه اليهما على رأس جماعة صغيرة من العسكر ، فلما وصل تلقياه بالإجلال والأبهة ، وترجل إعظماً لقدّرهما ، وإكباراً لمقامهما . فنلاقوا وتعانقوا وتجاذبوا حلوا الحديث . وتمكن ايرج بما لديه من لطافة اللسان ، وحُسن الكلام أن يلبّس عريكتيهما ، وينزع الغلّ من صدريهما . فتصافوا وتراضوا ورجعوا إلى ما كانوا عليه في غابر الأزمان .

ثم ان أهل تلك المالك لما رأوا ايرج وما عليه من رجاحة العقل وجمال المحيّا ، نهامسوا وتسامروا عن خصائله وفضائله ، فكان لا يجتمع اثنان من أركان تلك الدولة وأعيانها إلا وكان ذكره سبحة لسانهما وراحة أرواحهما ونزّهة قلوبهما ، مما أثار الحقد الدفين في النفوس الحاسدة . فاجتمع الثلاثة يتفاوضون في أمور المملكة ، وجاؤوا على ذكر أبيهم ، وما لقياه من ظلم وجور في تخصيص الناج والعرش لايرج ، فتردد في الإجابة مدّعياً انه خرج من تلك المملكة متحاشياً كرههما ، ومتوخياً رضاها . فأخذوا في الحديث حتى ثار تور كالسهم المشتعل ، وأخذ كرسياً

من ذهب كان تحته ورماء على ايرج . فتضرع هذا الأخير وأجهش بالعويل ، ممّا زاد تور ثورة ، فأخذ خنجراً وأغمدّه بشباب أخيه الناصر ، غير مُراعٍ لله تعالى حرمة ، وللشعور الأخوي ذمة . ففات كالشمس الفارقة وقت الشفق في نجيع دماثة . ثم حشاه مسكاً وكسافوراً ، ووضعته في تابوت مصنوع من ألواح الذهب ، وأرسله إلى والده .

استقبل أفريدون جئان ولده بالنديب والعويل ، وفاضت دموعه كالأنهار الدافقة ، وأمر بهدم دار ايرج وإحراق بستانه ، واصطفّ من حوله الأمراء والوزراء يشاركونه مصيبته . وظلّ على هذه الحال حتى نبت العشب حواله من فيض دموعه ، فكفّ بصره وهو ما زال يسأل الله تعالى أن ينتقم له من الفاتكين بولده السافكين لدمه . وكانت لايرج جارية تحمّلت منه بنتاً فزوجها افريدون إلى ابن أخيه بشنج فولدت منوجهر .

سرّ افريدون بولادة منوجهر ، ورد عليه الله تعالى بصره ، وأخذ يربي منوجهر أحسن تربية ويعلمه آداب الملوك أحسن تعليم . فنشأ شاباً رشيقياً قوياً برعاية افريدون الذي وهبه كل أمواله ، وجواهر خزائنه الدفينة . أذيع في المالك أن منوجهر ينوي الثأر لدم ايرج . فما

ماقيه دماء من حيث أن قلوب الآباء ترق على الأولاد ،
وقد تذهب الشدائد بالأحقاد .

أما سلم فلما علم بخبر أبيه ، قصد حصناً كان قد أعده
ملاذاً لنفسه ، فلما دنا ، لم يجد إلا مركباً واحداً يوصله
إليه . فلاقاه منوجهر وتبارز معه وقصّل هامه عن جسده .
أما الحصن فقد تحول إلى أطلال مندثرة لأن منوجهر كان
قد استولى عليه بخططه محكمة وأنزل السيف في رقاب
حارسيه ، ونهب جميع ما فيه ، وخرّبهُ وأحرق المراكب
التي توصل إليه .

رجع منوجهر إلى حضرة افريدون ، فخفّ لاستقباله
في مواكبه ورجاله ، وأخذ يقبله ، ويمسح بيده غرته
ووجهه ، وأمر بتوزيع الغنائم على العسكر شكراً لله تعالى
على ما فعله من أجله .

أما افريدون فقد ضجر الحياة بعدما طعن في السن ،
وأخذ ينتظر المنية سائلاً الله ان يعجّل في ارتحاله إلى دار
البقاء . فلما قربت وفاته ، استدعى منوجهر وسلّمه العرش
والتاج ، وأمره بإفاضة العدل والإحسان ، وإشاعة الأمن
والأمان ، وأخذ من الملوك والأمراء عهوداً تُبّاع فيها
لمنوجهر ، ومات بعد أن ملك خمسمائة سنة .

كان من سلم وأخيه تور إلا أن أرسلوا رسولاً يستقصي حقيقة
الأخبار . فوصل الرسول وأدخله سابور إلى حضرة الملك.
فصنّعتْ لرؤية افريدون الجالس في صدر الإيوان مُحاطاً
بجحافل العسكر ، وقد أقعد منوجهر على سرير من العاج ،
مُحيطاً بإياه بالأمراء والقواد . فلما أدى الرسالة ، رجع إلى
سلم وأخيه في أرض المغرب ودخل عليهما في خيمتهما المصنوعة
من الديباج ، وأخبرهما عما رأى من جحافل الجيوش التي
لا تُعد ولا تُحصى ، وعن عزم منوجهر في الثأر القريب.
فتأهباً للحرب وأمرأ قوادها في التوجه إلى أرض المعركة .
وهناك التقى الجيشان وتلاطما كالسيل الجارف ، وظلا على
هذه الحال ثلاثة أيام .

دبّ الضعف في عساكر الترك فرأى تسور أن يباغت
عساكر منوجهر تحت جنح الليل ، فيهربون طالبين مسن
الليل ملجأ ، ومن النهار فراراً . لكن منوجهر علم بخططه
فاستبقه بثلاثين ألفاً من العساكر ، وانتظر قدومه . فلما جاء
طلع عليه بجحافله كالنفجر المشع ، وتمكن منه في مبارزة
أطاحت برأسه . فلما مات دبّ الخوف في صفوف جنده
فاستسلموا له . ثم كتب إلى افريدون يعلمه بالنصر المبين
باعثاً مع رسله رأس تور . فلما رآه افريدون تفجّرت

فقد أنزل شفقة في قلب عنقاء كانت هناك . فنشأ وترعرع بين أفراخ العنقاء إلى أن كبر ورأته القوافل المسارة من ذلك الجبل . فتعجبوا لما رأوا ، وبلغت تعجباتهم أسماء سام الذي كان قد رأى في منسامه رسولا أبلغه أن ولده ما زال حيّاً في الجبل الذي تركه فيه . فتوجه مع الناظرين باكياً مُسترحماً ، مستغفراً تائباً ، سائلاً الله أن يرد عليه ابنه . فلما علمت العنقاء بالبحث الجاري عن دستان ، وهو الاسم الذي أطلقته على الرضيع ، أعطته ريشة من جسدها طالبة منه أن يحرقها إذا شعر بأي أمر محقق فيه ، فتمثل بين يديه . ثم حملته بين جناحيها وطارت به وسلمته إلى والده . فلما رآه ، بهر بسناء وجهه وطول قده . فسجد شاكراً الله على صنيعه وكرمه ، وردّ ولده . وتوجه بدعائه إلى العنقاء على فعلتها السمحة . ونزل مع ولده من قمة الجبل إلى أسفل السهل . فلما نظرهما الجنود، هلّوا هازجين وبالبشائر معلّنين إلى أن وصل الخبر إلى منوجهر ، فأرسل ولده نوذر للسؤال عن الحال ، ومصاحبته في الحل والارتحال . فلما وصل استقباله سام أجمل استقبال ، ورجع معه بصحبة دستان إلى حضرة ملك الزمان . وعندما وصلوا استقبالهم منوجهر بشخصه ، وأنزلهم بنفسه أحسن منزلة . وأمر بإدخال دستان عليه . فلما دخل ، بدا كالشمس

الأبطال الثلاثة

سار منوجهر ثامن ملوك الفرس على خطى جده ، فحكم بالإخلاص والإنصاف ، ونشر العدل والرخاء ، وعمّر العالم بالحب والإيمان ، وحرّض الخلائق على عبادة الله تعالى والابتعاد عن معاصيه واتباع أوامره ونواهيه . فأخلص له شعبه ، ودعوا بثبات دولته ودوام مدته .

في هذا العهد ، كان يوجد رجل عظيم وبطل صنديد يعرف بـ «سام بن نريمان» ، رزقه الله ولداً كالقمر إضاءةً من جارية كانت في خدمته . لكنه لشعره الأبيض ، أخذته والده إلى جبل البرز في أرض الهند وتركه هناك . ولما كانت رحمة الله واسعة ، وجبه نخلقه لا يحده حد.

الباهرة بين النجوم الزاهرة ، وقد رصع نفسه بالآلء والجواهر مما زاد شمائله ونخايه بهاءً ورونقاً . ففرح منوهر بلقائه . وخصته بنفسه ، وأمر المنجمين بالاطلاع على أحواله . فبشروه بمستقبل زاهر وعز سائد . وأرسله مع والده لتولي أمر ممالكه الواسعة ، طالباً من سام استخلاص مملكة مازندران التي استولى عليها بعض الرجال المارقين . فذهب لتنفيذ أوامر ملكه ودعا بابنه مكانه . وأمر الوزراء والنصحاء بتحريضه على مكارم السير وتأديبه بمحاسن الشيم .

ثم إنه في ذات يوم ذهب للصيد قرب أراضي كابل التي تحت إمرة ملك شاب يسمى مهراب . فلما سمع به الملك ، رحب به أجمل ترحيب . فأعجب به دستان لما له من حسن الوجه وطول القامة ، وأبهة الجلال والمنظر ، وعذوبة المنطق . وأخبروه بأن له بنتاً كالشمس الشارقة ، ووصفوها ، فاستهام في جبهها دون رؤيتها . وبعدما انقضى النهار ، ذهب مهراب لزيارة دستان . فأكرمه وأحسن وفادته ، وطلب مهراب منه أن يتكرم بزيارته ، فلما أبى معتذراً بطلب الإذن من الوالد ، رجع إلى قصره وجلس مع زوجته وبنته رودابة ، محدثاً إياها عن شعر دستان الأبيض المنسدل على عارضيه كأوراق الاقتحوان على شقائق النعمان . فكأنه لا يصلح لحمرة وجهه غير بياض شعره ، ولا لبياض

شعره غير حمرة خده . فهامت به رودابة حباً ، وصدق فيها القول صدقاً ، حين قال : « لا تصفوا محاسن الرجال لربات الحجال » . وأصبحت تُصبح وتُسمي بذكر اسمه . ولما لم تتمكن من إخفاء لواعج جبهها ومكامن قلبها ، باحت بسرها إلى جوار عندها ، فنصحوها بالصبر والثاني ليرين ما يتبدرن بأمرها . ثم ذهبن للحال إلى معسكر دستان ، وأخذن يقطفن الورد والريحان . حتى رأهن دستان . فسأل عن أحوالهن ، فأجيب بأنهن خرجن من قصر الملك مهراب . فأخذ قوسه وسهامه ، واصطاد طيراً من الطيور ، فوقع بجانبهن . ولما ذهب غلامه لجلب الطير سأله عن ذلك الصائد الشاب ، فعرفن منه أنه دستان صاحب الطلعة البهية ، وابن سام ملك الهند والجوار . فلما أخذ في وصف سيده ، أخبرنه مجاوبين عن حسن رودابة ، فما كان من دستان عندما سمع باسمها، إلا أن حملهن الجواهر النفيسة ، باثاً لواعج حبه ونخايء قلبه في أذن واحدة منهن ، ترددت فيما بعد على العاشقين حتى تواعدا على الاجتماع . وفي ظلام ليلة داكنة ، اجتمع الشمس والقمر وطال بينهما الحديث والسمر . ولما أصبحا ، افترقا وتواعدا على اللقاء كلما سنحت الفرص . فلما طالت بهما الحال ، قرر دستان الزواج من رودابة ، فأرسل في طلب

الكهّان والعلماء ، وأخبرهم بما قرر . فنصحوه صبراً لأن الملك منوجهر وسام بن نريمان لن يرضيا بمصاهرة أنساب الضحّاك لما بين الاسرتين من تنافر وعداء . فقرر مراسلة والده مُنْضَرَعاً اليه ، مسترحماً لياه ، مذكراً بوعوده يوم عثوره عليه .

كُتِبَت الرسالة وَضُمَّتْ بالكافور ، وأرسلت مع رسول الى مقر سام في مملكة مازندنان . فلما قرأها هاج وماج ، ثم أخذوه الوجوم وتناوبته الهموم . وأخذ يفكر بما هو فاعل لاسترضاء الملك منوجهر . فجمع الحكماء والمنجمين ، وتركهم مجتمعين عليهم يدلونه على الحل السعيد . فلما انتهوا ، سرّوا بما أطلعتهم عليه النجوم ، والدلائل التي بدأت تخوم . وأخبروا سام أن المصاهرة ممكنة والزواج المستعصي سيتم ويولد منها ولد يملأ الدنيا مهابة وقهراً ، وشهامة وفخراً ، ويرفع تاج السلطان الى أوج العمران ، وأنه سيشتهر والأسماع به ستفتخر . فلما سمع سام ذلك ، فرح بما أخبر وأرسل الرسول لإبلاغ دستان بالموافقة . وتوجه الى حضرة السلطان لاستئذانه في إنشاء هذه المصاهرة.

وصل الرسول الى دستان وأعلمه بالموافقة . ومن شدة فرحه أرسل عجوزاً الى روضة كانت تتردد بينها .

فأعلمتها بالخبر اليقين والقصد المبين . فتهللت مَرَحاً ورقصت فرحاً وأهدت العجوز عباءة من القصب منسوجة بالذهب . فخرجت بها فرحة، ورأتها «سبن دخت» والدة روضة ، فارتابت بأمرها ، فحبستها وأقرتها وعلمت بما كان بين دستان وروضة . ثم ذهبت وأنبت ابتها ، ففضحت الأخرى نفسها وأعلمتها بما تكنه في قلبها من حب لزال (دستان) بن سام ، وموافقة هذا الأخير على زواج ولده بانية مهراب . فهذأت قليلاً حتى التقت الملك مهراب الذي أخذ يسألها عن تغير حالها ، وإبانة آمالها . فأخبرته بما عرفت . فغضب كالنار الساعرة ، لكنها نصحته ونجبر الموافقة هدأته ، فاستكان قليلاً ، ومال الى معاودة الاتصال بين الدولتين .

غضب منوجهر عندما علم بأخبار ابن سام . فجمع القواد والوزراء وأفضى اليهم بخوفه من هذا الزواج الذي قد يشمر عن ولد يشابه الضحّاك بطشاً وجوراً . فامتنع عن الموافقة، ورفض المصاهرة . ولما وصل سام الى حضرته تلقاه بالإعظام والإجلال وكل الإكرام ، وأمضياً ليلتها بالحديث عن المصاعب التي لاقاها سام في إخضاع مملكة مازندنان . وانتقلا فيها بعد من مجلس الى آخر ، ومن كاس خمر الى مجلس دن حتى أطاحت الخمر برأسيهما فنما نوماً طويلاً . فلما

أصبح سام ، دخل على منوجهر ، الذي استبقه بالحديث وأمره بأن يتجه الى مهراب ويقتله ويضم ممالكه الى بلاد إيران . فسكت ولم ينبس ، وغادر وهو يعبس . وخرج متوجهاً الى الهند . فنناقلت الأخبار مجيئه ، ووصلت أسماعها الى مهراب وزال ، الذي لام نفسه لإشعال نار الفتنة ، وإيقاد الثورة الميته . وصمم على نفسه ، أن يصل والده الى رأسه ، إن أراد هذا الأخير محاربة مهراب . فلما التقيا ، تصافحا وتعانقا ، وبثا لوح شوقها . فلان قلب الوالد وتريث قليلاً في الأمر الذي جاء من أجله . ونصح ولده بالتوجه الى منوجهر محملاً إياه رسالة ، ذاكراً فيها أيام سعادته وهناء حباته ، مذكراً منوجهر بمقاماته المشهورة ووقائعه المذكورة طالباً منه الرحمة والموافقة لطالب ولده العاشق .

شاع في بلاد كابل تصميم منوجهر على الحرب والهدم . فدخل مهراب يوماً على زوجته ، يؤنبها على فعلة انتهت الشعاء ، مُصمماً على قتلها حتى يكف منوجهر عن غلوائه ويمسك عن محاربته . فهدأته بالحيلة واقترحت عليه إرسالها مع الهدايا الفاخرة والنفائس الباهرة الى سام علّها تأخذ منه وعداً يهدى روعه ويكف حربته . فارتحلت بما خف

حملة وغلا ثمنه بعد أن أخذت وعداً من زوجها بعدم التعرض لحياة ابنتها . فلما وصلت ، دخلت على صاحب الغز سام وقدمت له هداياها . فأعجب بها لكنه ثأني في قبولها ، لأنه إن قبلها غضب منوجهر ظاناً أنه صالح مهراب . وإن لم يقبلها خسر وعده لولده ، فيطير صوابه ويذهب حباته . لذلك قبلها على أساس أنها هدية لدمستان . ثم سمع المرأة التي طلبت منه الصفح والغفران وسألته التروي والأمان فالشعب واحد على ما بينهما من اختلاف في الدين . فهم يعبدون التماثيل والأصنام ، وشعب منوجهر يعبد الشمس والنيران . ولا يصح أن يؤخذ الصالح في عدى الطالح . وإن نسل الضحّاك لا يكون شراً كله . لذلك طلبت الأمان لزوجها الذي لم يسلك منذ تصدى لسلطنة كابل غير طريق طاعته .

أعجب سام بالمرأة الكابلية وأعطاها الأمان بعد السؤال عن الأحوال ، فأخبرته بأنها صاحبة مهراب ووالدة روذابة التي من فرط جمالها وقع دستان في حبائل حبها .

أما سام فأخبرها بدوره من أن الميثاق ما زال قائماً ، ووعده بالأمان لمهراب ما زال جارياً . وأنه بعث ولده الى الملك منوجهر سائلاً إياه العطف ، وأنه يظن أن

ولا يتسابقان . وسأله ثالث عن روضة معشبة تروق للعيون
بهجة . فإذا نزل عليها منجل جمع بين اليباس والرطب .
وسأله رابع وخامس وسادس أما هو فأخذ يفكر
وللأمر يدبر حتى قال : « الأول ، إنه الشهر فتسارة
يكون تسعاً وعشرين ، وثارة ثلاثين . والثاني ، إنها الملوآن
يتعاقبان ولا يتسابقان . والثالث ، إنه الأجل يحصدنا كحصد
النبات فيأتي على البنين والبنات من الشيب والشبان والفروع
والاغصان . والرابع » فلما انتهى ، أقرّوا له بالعلم
الواسع والمستقبل اللاحق . ثم أراد الذهاب إلى أبيه سام ،
فطلب الملك منه أن يبيت عنده ليرى شجاعته في منازلة
الفرسان ، فبقي ملبياً دعوته . فلما نازل الفرسان وقتل
منهم أشجع الشجعان ، خلع عليه منوجهر خلعة مضافه
إلى النجاج والعرش ، والخيول العتيقة والغلمان الرشيقه .
وأخبره بموافقته على الزواج السعيد . فلم يصدق ما سمع
وللرسول هرع طالباً منه لإخبار والده قبل مجيئه عن رضى
الملك . فذهب الرسول إلى سام ، وبدوره أخبر مهرباب
الذي فرح وهلل وللأمر تهيئاً . وأخبر سبن دخت التي
بدورها أخبرت رودابه ، وأمرت بتزيين الدور والقصور ،
ونثرت اللؤلؤ والمرجان ، واستعدت مع المستعدين لاستقبال
القادمين ، الذين ما إن وصلوا ، وبالقصر استقروا حتى عقدوا

منوجهر سيفتد رغباته وأنه (أي سام) لا يمانع في مصاهرة
من كان مثل مهرباب قدوة ومنزلة . فسرت المرأة بما
سمعت ، ورجعت للتحضير للعرس الميمون ، وطمأنت مهرباب
بنيات ملكه ودوام عزه .

أما « زال » الذي وصل إلى حضرة منوجهر ، فاستقبل
بالترحاب ، ونزل على مضيفه كتزول المطر من الغمام ،
والحقيقة من الأحلام . وسلم منوجهر كتاب والده فقراه
ووعده خيراً ، ثم ذهباً للشراب ، فدارت الكؤوس
مرححة النفوس . فتمل دستان ونام . ولما أصبح ذهب
إلى حضرة منوجهر لينصبح ، الذي كان قد أمر العلماء
والمنجمين بكشف مستقبل دستان العظيم . فلما اجتمعوا
وتشاوروا ، أخبروه كما أخبر سام من قبله ، فأنشراح
صدره وأراح نفسه ، وأراد أن يمتحن دستان ، فأحضر
كل عالم كان بحضرته وأمر ابن سام للتهيؤ وحل الألفغاز
والطلاسم . فحضر وبدأت الأسئلة تنهمر عليه كالطر .
فسأله واحد عن ثلاثين فارساً يعرضون على السلطان ، إذا
عبروا نقص منهم واحد ، وإذا رجعوا فلا ناقص ولا
زائد . وسأله ثان عن فرسين ، أحدهما أشقر كالنار
والآخر أدهم كالقار ، لا يزالان يتراكضان ، يتعاقبان

القبيل لضخامة جثته وقوة أكتافه . وظلَّ يترعرع حتى راهق وبلغ . وبقيت أخبار قوته تطفئ على سائر الأخبار ، ومرة قتل فيلاً أبيض كان لوالده ، عندما هاج وقطع سلاسله ، فلم يستطع أحد أن يقف بوجهه إلا رستم ، الذي أخذ سيف جده سام ، وخرج إلى القبيل وضربه على رأسه فقتل . وهاجم أيضاً قلعة شاهقة على الجبل الأبيض ، كان أجداده قد حاولوا دخولها فلم يتمكنوا . أما هو فقد دخلها متكرراً بزي تاجر ملح ، لندرة الملح فيها . فلما هبط الليل ، ثار في القلعة ، وقتل أهلها وعثر على كثر عظيم ، فأرسله إلى والده على ظهر آلاف من الإبل .

سُرَّ سام بأخبار حفيده ، وأحبَّ أن يراه . فرحل إلى مكانه ، مع أنفُس الهدايا الموجودة في زمَّانِه . فلما وصل دُهِشَ من رؤية رستم الذي جعل على صورة تشبهه ، وبالفصائل امتحنه . فكان نعم ولد لأفضل ابن . وظلَّ يتباهى بحمَّله ومولده شاكرًا العنقاء على صنعها العظيم . ثم أقام مع أهله مدة حتى عزم على الرحيل ، فارتحل بعد أن أوصى ولده بأحسن الفصائل وأجمل الشائل .

عمر منوَّجهر في السن . فلما أناف على مائة وعشرين

الزواج في ليلة زاهرة لم تعرف الأخبار مثلها ، لا في جلال روعتها ، ولا في بهرج روثها ، وكثرة كرمها . حملت روذابة ، وقاست آلاماً مبرحة في فترة حملها . فلما دنا وقت الوضع ، غشي عليها من شدة الألم ، وأخذت والدتها تصبح وتصرخ حتى حضر « زال » ورأى أمر زوجته . فأخذ مفكراً وللأمر مدبراً . ففدح فكره بريشة العنقاء ، فأخذها وحرَّقها وللحال حضرت ، وتنبأت للمولود الجديد ، وأشارت عليهم بإسكار المرأة ، وبشق بطنها وإخراج ولدها . ثم أمرتهم بتخييط الشق وبرتق الفتق ، وذهبت بعد أن أعطت دستان ريشة أخرى عوضاً عن التي أحرَّقها .

أمر دستان بأخذق الصنَّاع ، فجاء وفعل ما أمرت به العنقاء ، فإذا بالمولود صبيّاً قد صورّه الله على خلقسة تعجب العيون وتروق القلوب .

أما والدته فقد ظلَّ مغشياً عليها نهار وليلة ، وعندما استفاقت ورأت وليدها كأنه ابن عشر سنين ، قالت : « برُستم » ، أي قد خلصت ، فسمي الصبي « رُستم » .

تناقلت الأخبار أحوال رستم الذي كان يرضع من حليب عشر مرضعات ، فلما بلغ ثماني سنوات ، صار كالنخل الباسق والصخر الشاهق . وكان لا يحمله مركوب غير

سنة دنت وفاته كما أعلمه المنجمون ، فطلب ولده نودر ورجاه ألا يتجبر ، إن هو حكم وعلى العرش استلم . ونصحه ألا يجحد عن طاعة النبي الجديد (موسى) الذي سيظهر بناحية المغرب . وأمره بالصبر إن حكمه ملك الترك ابن بشتال الذي سيغزو البلاد فلا يبقى ولا يذر . وإن استصعب فعليه بزال وولده رسم الذي سيدوخ بلاد الترك ويفتك بالعباد انتقاماً له . ولما انتهى منوجهر من نصائحه ، مات بعد أن حكم مائة وعشرين سنة .

الأيام العvisية

استلم نودر ملك أبيه ، فاضطرب عهده ، لأنه حكم وظلم وبنصائح والده ما عمل . فكتب الى سام مستعيناً به ، فما ان جاء حتى تغيرت الأمور ورجعت الى ما كانت عليه من قبل في عهد منوجهر .

في هذه الأثناء تناقلت الأخبار موت منوجهر واضطراب حكم ولده ، الى أن بلغت آذان بشتك ملك الترك ، فرغب في الاستيلاء على ممالك نودر . فدعا قواده وأعوانه مستشيراً بالأمر ، مؤلفاً جيشاً بقيادة ولده افراسياب وبطل دولته ، طالباً منه الانتقام لقتلة تور وسلم . أما ولده الثاني أغريبرث فنصح والده متمهلاً وبالتاريخ وقواد جيش نودر ، قارن

وكشأناسب معتبراً ، سارداً أخبار بطولات سام بن نريمان
حسامي نوذر وساعده عند اشتداد الخطوب . لكن الوالد
عنفه وأنبه مُتهماً إياه بالجبن لأنه تقاعس مثل غيره عن
الثأر لدم أجداده .

وعندما أقبل الربيع ، تقدم بجيش ضخّم العدد نحو
جيحون . فعلم نوذر بذلك وتقدم بدوره الى دهستان على
رأس جيش بلغ مائة وأربعين ألف فارس يقوده هو وقارن.
فلما وصل افراسياب وضرب طوقاً بأربعمئة ألف فارس حول
نوذر وجنده ، بلغه خبر موت سام وانشغال ابنه بغزائه .
فأدرك أن الأمر بيديه ، وأن نوذر هالك لا محالة . وكان
له بيب دهستان رجلاً قوياً يدعى بارمان طلب منازلة
أحد قوآد نوذر . فلما استطلع قارن أحوال جيشه ، لم
يتقدم أحد لمنازلته إلا شقيقه قُبّاذ . فاستمهله قارن ليكبر
سنه وعلو شأنه عند الملك ، لكنه لم يرتدع ونزل للمبارزة.
فأخذاً يتضاربان ويتطاعنان طول اليوم حتى وقع قُبّاذ عن
فرسه منكوساً . فاحتدم قارن لرؤية أخيه ميتاً . وهجم
بجيشه طالباً الثأر إلى أن غربت الشمس ، فرجع الى نوذر
وأطلعه عن سوء الأخبار ، فما كان ممن الأخير إلا أن
شن الحرب برجاله ، وأمر ولديه طوس وكُستهم بالطروب

الى جبل راوه من جبال البرز ، عليها ينجوان ومن آل
أفريدون يبقيان . وظلّ يحارب افراسياب حتى آذنت شمس
دولته بالمغرب ، ونساء مُلكه بدأن النجيب . ثم قسم جيشه
الى قلب وميسنة وميسرة . فتداخلت الأقسام وتلاطمت
كالأمواج . وقتل سابور رئيس القسم الأيسر من جيش
نوذر ، ولحق قارن بكروخان بن ويسه رئيس جيش
افراسياب لما علّم بهجومه على نساء الايرانية سايباً إياهم ،
خذاً خزائنهم وأموالهم ، وأخذ يتقاتل مع بارمان قاتل
أخيه حتى صرعه وعن فرقته خلعه . فتفرقت جموعه وأنهم
أصحابه ومضى هو الى فارس .

لما سمع نوذر بخروج قارن مساعداً نساء الايرانية ، لحقه
طالباً النجاة من قبضة افراسياب . فلما علم هذا الأخير
بهروبه ، ركض وراءه طالباً دماءه ، فقبض عليه مع
ألف ومائتين من أعيان الايرانية ووجوه قوادهم المذكورين.
وأمر ويسه قائد جيشه بلحاق قارن الى فارس . فلحقه
وعلى الطريق نازله بعد أن كان قارن قد قتل ولده وجمعاً
عظيماً من جنود الترك . وتحارب الفريقان وزحف بعضهما
الى بعض ، وجرت بينهما ملحمة عظيمة انتصر فيها قارن.
وأجبر ويسه على الفرار .

علم افراسياب بالخبر الفاشل ، فأمر شماساس وخزيران بالاتجاه نحو زاولستان ، فسارا ووصلا هيرمند عن طريق سجستان وكان «زال» قد رحل منها الى كورابذ لغزاء أبيه سام ، ولم يبقَ فيها غير مهراب . فاتفق بهما مذكراً لياهما أنه من نسل الضحّاك وأنه إن قبل بمصاهرة «زال» فحفاظاً على ملكه وأيام حكمه . فأمن جانبها ، ثم أرسل رسولاً الى «زال» يدعوهُ الاستعجال معلماً لياه بالحيلة التي اتبعها . ففرح هذا الأخير بعزم مهراب المثير ، وتوجه مع جيشه مباغتاً شماساس وخزيران ، ففطنا للحيلة واضطربا تدبيراً . ثم تلاقت الجيوش كالسيل الجارف ، ولحق «زال» خزيران فضربه ضربة ، خرّ منها صريعاً للدين وللقم ، معصراً في التراب ، مضرجاً بالدماء . فلما رأى شماساس ما حلّ بصديقه ، هرب هارباً ، ومن المعركة جارياً . وفي طريق عودته الى افراسياب التقى قارن راجعاً من محاربة ويسه . فتحاربوا كالنسور الكاسرة ، وتمكن شماساس من الهرب الى افراسياب .

عرف افراسياب بالهزيمة النكراء وبقتل قواده الأعزاء ، فأمر بنوذِر وقطع رأسه فخلت ممالك ايران عن صاحب العرش والتاج . وأمر أيضاً بالأعوان ، فأطلقوا ألسنتهم

بطلب الأمان وأراد أن يقتلهم فنشفع اغريبرث لهم ، طالباً البقاء على أرواحهم ، فأجيب طلبه وذهبوا معه الى سارى . أما افراسياب فرحل من دهستان متوجهاً الى الري .

توجه ولدا نوذر الى «زال» ، شاكيين باكيين وعلى النار مصرين . وظلا وراء «زال» ، حتى هيا نفسه بجيش عظيم ، مقسماً على الانتصار ، مرجعاً ممالك ايران الى أصحابها الشرعيين . فلما بلغ الخبر الى الأمراء المأسورين عند اغريبرث ، اجتمعوا به طالبين فكّ أسرهم ، لأنه لو لم يفعل ذلك فإن زال سيفعله بدون شك ، تنفيذاً لما صمم عليه . لكن اغريبرث استمهلهم ، وعلى طريق الصواب دلّهم . فهو إن فعل ذلك ، فسيظهر على انه شقّ طاعة افراسياب ، وعن ملكه حاد . لذلك أخبرهم بأن دستان لو اقترب من سارى فسيذهب الى افراسياب ويتركهم فيها لينتقموا بجيش دستان . فلما علموا بذلك أرسلوا رسولاً الى «زال» يعلمونه بما قرر عليه اغريبرث . ففرح للخطّة وأوكل كشواذ تنفيذ المهمة ، فاستولى على سارى وأخرج جميع الأسارى ، ورجعوا عائدين الى زاولستان .

أما افراسياب ، فلما علم بقدوم اغريبرث وتركه المدينة ، استلّ سيفه وقتله ، وقام طالباً «زال» ، فالتقى بجيشه في

ولده رُسَمَ وسلَّمه محاربة افراسياب . فلما أراد أن يرتحل ومن عدوه ينتصر ، أمر بإحضار حصان له كالبحر المائج والقبيل الهائج . ولما لم يجد بين خيول زابلستان خيلاً يستطيع أن يتحمل قوة كفه ، اختار فرساً شهباء من خيول كابل يدعى رخش . فسرَّ بذلك وخرج في الربيع لمنازلة افراسياب . فلما اقتربا من بعض ، بقيا على بُعد فرسخين لا يتقدمان ولا يتقاربان . في هذه الأثناء أراد زال أن ينظّم ممالك ايران بعد موت زو . فأشير عليه بانتقاء كيقباز من شجرة افريدون . فأمر ولده بالذهاب اليه ، مُنبِشاً إياه بالخبر العظيم .

جلس كيقباز على عرش من عاج معتصباً بالتاج . وهباً جيشاً عظيماً لمحاربة افراسياب . فكان مهرباب في أحسد الجانبين ، وكزدهم في الجانب الآخر ، وقارن وكشواذ في القلب ، وهو مع «زال» في الحلف . وأخذ رستم يحور ويدور سائلاً والده عن وصف افراسياب لينازله لوحده . فلما رآه في الجمع واقفاً ، وثب عليه كالليث الهصور يريد قتله . فاصطف الجيش من حوله وحموه منه . ثم اشتبك الجيشان وذهب من التورانيين جمع عظيم فهرب افراسياب إلى والده بَشَنك ناصحاً إياه بوقف الحرب وطلب

جوار الزبي . فتقاتلا وتطاحنا سحابة كل يوم مقدار اسبوعين ، دون أن ينتصرا . ولما كان ولدا نودر لا يصلحان لحكم الممالك الواسعة والأراضي الشاسعة ، اختار «زال» زو بن طهاسب لما كان عليه من قدر وجلالة وشهامة وصرامة ، فتزوج على ممالك ايران والفريقان ما زالا يتخاصمان . فحكم الرعية بالعدل والهيبة ، وكفَّ يد الظلم وساس بالحلم ، ووقع في عهده قحط عظيم ، فانجست السماء وماتت النباتات قتل الطعام حتى صار يُقابل بالدرهم .

ضعفَ الفريقان وهما ما زالا يتطاحنان ، فسمى القادة للصلح ، علَّ قحطهم يزول ، وبأمر الله تعالى يسعون . فتهادنوا وتصالحوا وقسموا الأرض بينهم . فأخذ افراسياب من روزابد وشبر إلى منتهى الصين والختن ، ومن الجانب الآخر لزرو وشعبه . وتعاهدوا ألا يقتربوا من بعض ، ولا يرجعوا للحرب . فزال القحط وأثمرت الأشجار وأخصبت المزارع واعشوشبت المراتع .

شغَّر عرش ايران بعد موت زو ، فانتهاز افراسياب الفرصة ، وقرر معاودة الهجوم بأمر من أبيه بَشَنك . فحضر جيشاً ترتج به الأرض ويتضايق دون كثرتة البر والبحر وعبر بهم جيحون . فلما بلغت أخباره «زال» ، استدعى

السلم ، سائلاً العفو والصفح في قتل أخيه اغرييرث . فامثل الوالد لنصيحة ولده، وأرسل رسولا إلى كيقباز، طالباً السلام، مُعلناً وقف الحرب ، مقترحاً اتخاذ جميعون حاجزاً بين المملكتين ، فما وراءه للثورانية ، كما كان في عهد ايرج، وما هو من جانبه الآخر للايرانية . فوافق كيقباز ، وهذا من روع رُسْم الذي أراد مُتابعة القتال ، وجعّله حاكماً على ممالك زابلستان إلى بحر السند ، وكافاً جميع الملوك بنفائس الخلع وطرائف التحف . ولما قضى على حكمه مدة ، رجع الأمن والأمان وانتشر العدل والاحسان ، وعمّ الرخاء كل شعبه . وكان له أربعة بنين ، كيكافوس وكي آرش وكي نشين وكي آرشن . ولما بلغ مائة سنة ، خطفته المنية تاركاً الحكم إلى أكبر أولاده كيكافوس .

جلس كيكافوس مكان أبيه والناس في ظل حكمه آمين . وكان عهده من أشهر عهود ملوك الفرس ازدهاراً وعدلاً ورخاءً . مرة، دخل عليه مغنّ من مملكة مازندان، وأخذ يتغنى بربيعها الدائم وحسن بناتها الحالم ، فأشرق نفس الملك وأحب أن يمتلكها ويستولي عليها . ولما كانت مملكة مازندان موطن الجن والسحرة الذين لا يرحمون وبالملوك يفتكون . أطاعه أعوانه وقواده وفي نفوسهم ريبة

وخشية من هذه المغامرة ، لكنهم لم يفتأوه وأرسلوا في طلب زال بن سام . فجاء ونصح الملك عن رغبته المنوعة، لكنه لم يتصح ، وبدأت نواياه تتضح عندما سكت المملك إلى ميلاد وتوجّهه على رأس جيش عظيم إلى مازندان . فلما وصل أمر قواده بقتل كل كائن حي يقف أمامهم . فامثلوا لأوامره وقتلوا كثيراً .

وصلت أخبار القتل والذبح إلى ملك مازندان فاستنجد بملك الجن سيديريو الذي لبى استنجاده وأعمى كيكافوس وأغرقه مع جنوده في ظلام حالك وليل دائم ، وأمر شياطينه بنهب أموالهم وخزائنها وإرسالها إلى ملك مملكة مازندان .

ندم كيكافوس على فعلته الشنيعة ، وأرسل مستغيثاً في طلب «زال» . فلبى هذا الأخير نداءه وأرسل إليه ولده رستم على ظهر حصانه رخش ناصحاً إياه اتباع الطريق القصيرة الملائى بالشياطين والسباع والضباع لأنها أقصر من غيرها . فنهض رستم يطوي عنان الصحراء وحيداً ، وعلى الطريق تبدت له مخاطر عديدة كان يتغلب عليها بمساعدة حصانه رخش ، فقتل السبع الهارب ، والتمبان الهائل ، والساحرة الشمطاء ، حتى وصل أراضي الملك أولاد ، وأخذ

يرعى حصانه . فلما رآه هذا الأخير دنا منه يريد قتله ، فقبض رسم عليه وقيده ، وعن مكان كيكافوس والشاطين أراد دله ، وظل ممسكاً به حتى وصلا باب مملكة مازندان المحروس بقلول الجن والشاطين . فنزل قتلاً وتذبيحاً حتى قضى على اوزنك قائد ملك الجن ، ثم توجه الى مكان كيكافوس الذي أرشده على مغارة سبيدريو ملك الجن .

قطع رسم سبعة جبال شواهن مرصودة ومحروسة بالغفاريث ، فوصل بعد قطعها الى باب مغارة ملك الجن . وعرف من اولاذ المقيّد بأن الجن يتكون باب المغارة إذا ارتفعت الشمس وازداد لهبها . فافتحم المغارة المسحورة ، وفتك بالرقاب الممدودة حتى وصل الى قعرها حيث سرير سبيدريو . فنازله وقاتله وعن سريريه أراحه ، فشق بطنه وأخذ كبده طائراً به الى كيكافوس الذي ما إن مسح نظره بدمه حتى ردّت اليه نضارة الحياة . ثم نزلاً نهياً وقتلاً وحرقاً في مملكة مازندان وقررا مكاتبة ملكها ليعلن طاعته الى كيكافوس ، فأرسل اليه فرهاد الذي طلب منه إعلان طاعته وضم ملكه الى مملكة ايران ، ودفع الجزية والخراج . لكنه رفض متسلحاً بالجن والسحرة والقبيلة التي ليست لكيكافوس مثلها .

غضب كيكافوس من تهديدات ملك مازندان فنصحه رسم بالتروي وأخذ الأمور بالهدوء الكلي ، وأرسل نفسه رسولاً ثانياً ، مظهراً شجاعته أمام عسكر وجن ملك مازندان ، لكن الملك عاود رفض الطلب مما أغضب رسم فقفل راجعاً مهدداً منذراً بشتن الحرب والاستيلاء على مملكة مازندان .

اشتعلت الحرب بين الملكين ، ونازل رسم جوبان أحد فرسان ملك مازندان فصرعه برمح دخل كتفه وخرج من رقبته . واشتد القتال بعد موت جوبان فارنجت الأرض من الجحافل وأضاءت السيوف ، الليالي الظوالم ، وسمع صليلها كأنه رعد مخيف أو زلزال عنيف . ومضى الأسبوع الأول وهم ما زالوا يتحاربون وعن قوتهم لا يضعفون حتى نزل رسم وأخذ رحمه وطعن ملك مازندان في خاصرته طعنة رمته الى الأرض فحوّل نفسه الى صخرة صماء بعد تلك الطعنة .

حمل رسم تلك الصخرة ، وعلى رجلي كيكافوس وضعها ، وأمر ملك مازندان المختبىء في داخلها أن يخرج منها لئلا تفتتها المعاول وتقطعها قطعاً . فعمل بأمره وخرج مدججاً بالسلاح . فقُبِض عليه وقُتِل .

أما كيكاوس فأمر بقتل المردة من الجن وذهب الى مكان العبادة مختلياً بربه شاكراً إياه على الفتح المبين والنصر العزيز . ولما انتهى بعد أسبوعين ، شارك رسم في المأكل والمشرب ووعده بتسليم مملكة مازندان لأولاد الذي كان مفتاح هذه الفتوح كلها . ولما عاد إلى فارس ، فتح الخزائن ، ووضع ديوان الأرزاق ورتب له كتاباً وعمالاً .

ووهب رسم بالإضافة إلى الحلى والجواهر والهدايا ممالك نيم روز أو زابلستان ، واستمر في حكمه في أمن واطمئنان إلى أن ظهر له ثائر من العرب يدعى دريس من نواحي الشام ومصر ، يدعي الحكم لنفسه ويخرج عن طاعته . فقام إليه قاصداً بلاد الترك والصين حتى وصل إلى نواحي البربر يريد احتلالها ، فصدته ملكها والتحما في حرب عظيمة كان النصر فيها حليف كيكاوس بعد مساعدة أحد قواده المسمى جوذرز . فلما استولى عليها وأذعن أهلها لحكمه وطاعته ، قصد ضيافة رسم بن دستان في زابلستان . فنزل في ضيافته شهراً من الزمان قضاه باللهو والطرب والصيد والطرد . ثم ترك نيم روز راكباً البحر في جميع عساكره بقوارب تفوق العد والحصر ، وسار طويلاً حتى وصل إلى مدينة تدعى هاماوران وفي كل صوب منها عسكر

عظيم ، فمن يسارها مصر ، ومن يمينها البربر وقد امهها البحر . فتقابلوا وتلاحموا حتى أيقن ملك هاماوران أنه لا سبيل لغلبة الإيرانيين فقبل الصلح وطلب الأمان .

وكان لملك هاماوران بنتاً ، تفوق الحسن والكمال وصفاً تدعى سودابة . فلما عرف كيكاوس بها ، أرسل رسولاً يخطبها وإلى داره ينسبها . فاستشارها والدها ، فقبلت بعد تردد إذ أن لا مفر من الرضوخ إلى أمر كيكاوس . فجهزها والدها وأرسلها ، ثم بعث يسأل كيكاوس أن يتزل في ضيافته .

نصحت سودابة زوجها بعدم الذهاب لئلا تصير المأدبة مندبة . لكن كيكاوس ذهب وفي ضيافة عمه بقي رداً من الزمن . وفي ليلة هاجمه جنود البربر بمعاونة عمه ، فقبضوا عليه وسجنوه في قلعة حصينة .

عرفت سودابة بمكيده أبيها ، فلطمت وندبت ومع زوجها وضعت بعد أن رفضت العودة إلى دار والدها . فخلا بذلك عرش إيران من السلطان ، فاحتله افراسياب بعد حرب مع العرب .

علم رسم بما آل إليه أمر إيران ، فأرسل رسولاً

فبنوا له في الجبال بيوتاً ، سوروتها بالرخام ، وسمّروها بالفولاذ ، فلما تضايقوا ، في الأمر تشاوروا ، فبعث رئيسهم ايليس جنياً متكرراً بصورة غلام راوغ عقل الملك بصنع سرير من الذهب يطير به بواسطة العقبان . فلما طيرن وبالسما صرن ورائحة اللحم شمن ، هبطن بسرعة فتدحرجن . لكن كيكائوس لم يُصب بأذى ، فخجل من سوء فعلته واعتكف عن الناس حتى تاب الله تعالى عنه ورجع إلى سرير ملكه .

ولما كانت للأبطال شهوات . خرج رسم مع سبعة من قواده العظاء في حفلة صيد بأراضي توران مُلك افراسياب ، فتنبه الأخير إلى وجودهم وخرج اليهم بعسكره قاصداً أسرهم لمضايقة كيكائوس . فما أن لاقوه حتى اشتبكوا معه بمعارك ضارية . ونازل الكوس من رجال افراسياب زواره شقيق رسم فضربه ضربة أنزلته عن فرسه على مرأى من أخيه ، الذي ما أن شاهد هذا المنظر حتى ثار له وطعن الكوس طعنة جندلته عن فرسه وأودت بحياته . ثم دارت الدائرة على ملك الترك فهرب راجعاً بفلول جيشه وجثث قتلاه .

إلى ملك هاماوران ، يحثه على إطلاق سبيل الملك والرجوع إلى طاعته لكنه رفض واتجه بجيوشه لمحاربة رسم . فأعد هذا العدة ولجنوده استعداداً . فلما تلاقيا والحرب نزلاً ، ضعفت قوة ملك هاماوران ، فاتصل بملوك الممالك المجاورة (مصر والبربر) طالباً المساعدة للتخلص من أمر رسم . فجاؤوه بجيوش جرارة وأسلحة فتاكة ، لم يستطيعوا بها التغلب على رسم . فأسرهم واحداً واحداً وأجبر ملك هاماوران على طلب الأمان ، وإطلاق كيكائوس ومن كان معه .

كتب كيكائوس بعد الخروج إلى ملك الروم ، يسأله المعاونة في طرد افراسياب من ممالك ايران . فرد الملك بالموافقة ، وتحت امرته ساق آلافاً من الجيوش . فلما علم افراسياب بأمر الهجوم ، تجبر وتكبر ومُلك ليران لنفسه استدعى ، فاشتبك الجيشان في قتال عظيم ، ومن جند افراسياب قتل خلق كثير ، مما جعله يهرب إلى توران مقر مُلكيه ومكان عزه . فعادت ممالك ايران إلى كيكائوس ، فشرع ينظمها ولأمرائه يسلمها ، فوضع في كل من مدن خراسان الأربع : مرو ، نيسابور ، بلخ ، وهرات ، عسكراً قوياً فزالت الفتن وطابت الدنيا واستراح جميع الإنس ما عدا الجن الذين وضعوا في خدمة كيكائوس .

خارقاً ، أخبرته والدته بحقيقة مولده ، فقرّر احتلال إيران وتنصيب نفسه ووالده ملكاً عليها ، فسار على سيرة والده في القوة والشجاعة واختار لنفسه فرساً من نسل رخش . ثم ساق تحت إمرته الآلاف بعدما اتصل به افراسياب وحرّضه على الاستيلاء على إيران . فسار حتى وصل الى قلعة سيبد ، وهي معقل الإيرانيين . فنازل قائدها هجير وشقيقته التي خلصت منه بحيلة ، ثم استولى على القلعة .

عَلِمَ كيكائوس بالخطر القريب ، وفي أمر قائد زابل أرسل يستجيب . فلما وصل رسوله جيو الى رستم ، استمهله؛ وعن قصده المسرّع رده . فقام هناك عدة أيام وكيكائوس في قصره على نار . ثم رحلا معاً . فلما وصلا دخلا على كيكائوس ، الذي ما أن علم برجوعها ، حتى صبّ جام غضبه عليهما ، وأمر برأس رستم عقاباً لتأخرهما . إلا أن أحداً لم يستطع أن يُنفذ أمره ، وأسرعوا كلهم خلف رستم يعتدرون عما بدر من كيكائوس . فرجع إلى حضرة كيكائوس الذي طلب الصفح والمغفرة ، وعن أمره وغضبه سأل معتذراً . ثم جلسوا للصباح في روض معطر بالرياح ، يشربون ويأكلون ، وبالرزق على عبيدهم وخدامهم يفيضون . ثم توجهوا بمائة ألف إلى جوار قلعة سيبد .

قصة رستم وسهراب وسياوخش

وسهراب هذا ولد رستم من ابنة ملك سمنجان التركي ، الذي ما أن علم بمجيء رستم بن دستان الى مملكته بحثاً عن فرسه الذي ضاع . منه في رحلة صيد ، حتى أنزله في ضيافته ، طالباً منه مبيت ليلته . فلماً شرب وانتشى ، وبسكرات النوم سها . استيقظ في الليل على صورة بنت تفوق الجمال وصفاً والكأمال سحراً ، وعرضت نفسها عليه بعد أن أحبه من الأحاديث التي كانت تسمعها عنه . فقضى ليلته معها . فلما أصبحا ، أعطاهما خريزة طالباً منها إن كان مولوده أنثى فالخريزة تربطها على قرونها ، وإن كان ذكرأ فعلى عضده ، ثم رجع الى إيران بعدما استردّ فرسه . ولِدَ سهراب على صورة رستم بن دستان أو سام بن نریمان فلما بلغ سنّه الثالثة ، وعن غيره من الخلائق شبَّ

فلما أمسوا، خيموا هناك، وتسلل رسم إلى معسكر الأتراك،
قاصداً رؤية سهراب . فالتقى بأحد رجاله زنده الذي ما أن
وكزه بيده وكزة حتى مسات للحال . ثم استعد الجيشان
لبداء القتال ، وأخذ سهراب يسأل أسيره هجير عن أصحاب
السرايق الإيرانية ، لعله بسرDAQ رسم . فأجابه هجير
عن كل سؤال ، وعن أحوال رسم صدى الكلام . فاغناظ
لعدم المعرفة ، ولسرايق كيكافوس خرج مهدياً .

فاستنجد الأخير برسم الذي جاء مسرعاً وللأمر سديراً ،
وحضر نفسه للاقاة سهراب . فتلاقيا وللمنازلة استعدا ،
وظلا يحطآن سلاحهما غير مدركين بأن الوالد ينزل ولده ،
والقلب يمزق أغشيته ، والعين تطفئ نورها . فلما تعباً ،
ولم يفز أحدهما ، رجعا إلى خيمهما واستراحا . ثم رجعا في
اليوم التالي يكملان ما قطعاه بالأمس . فلما تقابلا ، تناوشا
وتناطحا ، وصرع سهراب رسم وأراد ذبحه ، لكن الأخير
استمهله قائلاً : « ليس من شيم الأبطال عندنا أن تقتل
عدوك الذي بمنزلتك في أول نصر لك ، لكن يُسمّى بطلاً
من نازل عدوه ثانية وانتصر عليه ، آنذاك تكون حياته
ملكك ويحق لك قتله وذبحه » .

اغتر سهراب بكلام رسم فتركه يذهب مُحضراً نفسه

للمنازلة الثانية . فلما تنازلا ، صرع رسم سهراب واستل
خنجره ونحر ولده دون أن يدري . ولما رأى خرخته معلقة
على عضده ، أدرك انه ولده ، فطم نادياً وبكى ناحياً .
وظل على ذلك مدة من الزمن . وتأخر عن العودة إلى
جموع الإيرانيين الذين شذوا الرحال للاستفسار عن الأحوال ،
فشاهدوا ما صار ، ولأمر بطلهم نزلوا للاستفسار . فساعدهوه
وواسوه وعن أمر سره استفسروه . فطلب من أخيه زواره
أن يقصد هومان قائد عسكر الترك ، ويصحبه إلى بلاده
كي لا يتعرض هو وعساكره لأي أذى ، وأرسل جوفرد
إلى الملك كيكافوس ، يسأله شربة من الدواء الذي يجلب
الشفاء لأن ابنه سهراب لم يمت بعد . لكن كيكافوس
رفض ، فقام إليه رسم بنفسه . لكن ولده مات وهو على
الطريق . فتوجه مع أخيه زواره إلى حضرة أبيه دستان في
زابلستان الذي تلقاه مع أهل سجستان . فأقام باكياً وعن
فعلته نادماً ، عالماً أن الدموع لن تُرجع عليه ولده .

وفي الناحية الأخرى من المدينة ، كانت هناك أم تلطم
خدها ، وتنعي حظها ، وعن ذكر ولدها سهراب لا تنقطع
أبداً . وبقيت على ذلك الحال سنة حتى أتها المنية وطواها
الثرى ، وهذا قضاء الله في خلقه ولا مرد أبداً عن أمره

وُلِدَ سياوخش من جارية حسنة من نسل افريدون ، كانت هاربة من ظلم أبيها عندما لاقاها طوس بن نوذر وجيو بن جوذرذ وهما يتصيدان بناحية من نواحي توران ، فتنازعا عليها ، واحتكما إلى كيكافوس ، الذي ما أن رآها حتى استأثر بها وإلى حريمه ضمها . فتحملت منه ووضعت ولداً كأنه قمر أو صنم حسناً وجمالاً ، فُسِّرَ به كيكافوس ، وأرسله مع رسمٍ لكي يرثيه ويعلمه آداب الملوك . فلما شبَّ وكالملوك تبنى ، رحل إلى والده ، فاستقبله بالموكب نائراً عليه زهر الكواكب ، وأقعده بجانبه على العرش ، واهباً إياه كل ما لديه من مال وجواهر وكنوز وذخائر . ثم أعطاه التاج في السنة الثامنة من قدومه .

في يوم من الأيام رآته سودابة زوجة والده . فهامت في حبه لما هو عليه من حسن الجمال والكمال . فلما أرادته ومن جبهها أظهرته . دخلت على الملك تطلب منه السماح لسياوخش بزيارة أخواته وراء السر ، لأنهن سمعن عنه دون أن يكحكن عيونهن برؤيته ، فتزل على طلبها ، وامستعى سياوخش طالباً منه زيارة أخواته ، وسودابة

التي هي مثل أمه . لكنه فطن للحيلة وعرف أنها من تدبير سودابة ، فتظاهر أن زيارة النساء في غرفهن ليست من آداب وسيرة الملوك . فُسِّرَ والده بذلك وأمره بأن يزور أخواته ولو لمرة .

في صباح اليوم التالي زار سياوخش أخواته وسودابة التي هي مثل أمه . ففرحن وانبسطن ، ومن حسنه ونبله اكتحلن . وأشارت سودابة على والده بتزويجه إحدى بناتها لكي تضمن قربه ، وتزيد حبه . لكن سياوخش رفض ، ومن بنات عمه أراد النسب . ثم استدعته سودابة مرة ثانية ، وعرضت عليه بناتها بعد أن بثت له وجدها وعرضت عليه جبهها . فاختر واحدة لتفادي الأمر ، وأنهم سودابة بأنها له مثل الأم ، وحرام عليه أن يقابل وفاء أبيه بطعنة من الخلف . لكنها لم تقتنع وبدأت تلجأ للحيلة . فلما كان عندها مرة ، عرضت عليه نفسها ، فصد عنها ، فزقت ثوبها وصرخت صرخاً عظيماً سمعه الملك كيكافوس ، فدخل عليها وصرف خدمها ليرى ما في الأمر . فقالت له سودابة : « هذا ولدك ، حاول اقترابي . فلما صدده لم ينصرف ، وباسمك لم يرتدع . فزق ثوبي ، فصرخت خائفة على الوليد الذي في بطني » . أما سياوخش فقص

عليه القصة كما جرت . فأخذ يده يشمها ، محاولاً أن يجد أثراً لرائحة سودابة عليها . فلما لم يجد ، عرف أنها المخادعة . لكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً بها لأنها ابنة ملك هاماوران ، وأم أولاده وخادمة أيامه خصوصاً تلك التي قضائها في قلعة والدها حين كان سجيناً .

التجأت سودابة للحيلة مرة ثانية . فدعت ساحرة عندها كانت حاملاً ، وطلبت منها أن تُسقط الحمل الذي في بطنها . ففعلت ذلك في طست من ذهب ومن ثم اختفت . أما سودابة فبدأت تصرخ وتستغيث حتى جاء الملك والقوم وأظهرت لهم صحة أقوالها . فاختار الملك بالأمر ، واستدعى العلماء والوزراء ، فكشفوا له بعد مضي أسبوع أن الحمل الذي في الطست ليس من ظهره ولا من رحم زوجته ، بل هو لساحرة اختفت ولم تعد للظهور . وحتى يتيقن من الأمر أشاروا عليه بنار عظيمة ، إن خاضها أحد الحصين وهو بريء لم تحرقه . فحضروا الأخشاب حتى صارت على شكل جبلين عظيمين وأوقدوا فيها النار . وهباً سیاوخش نفسه للدخول فيها وسودابة على النافذة فرحة بما سيصيبه . فلما دخل بفرسه وخرج سالماً . هلل الجميع فرحين وبأمر سودابة أرادوا قاتلين . لكن سیاوخش تشفع لها عند الملك فأبقى عليها وازداد حباً لها .

ثم إنه بلغ كيكائوس أمر تأهب افراسياب للاستيلاء على إيران . فجمع قواده ووزراءه ، وأوكل أمر جيشه الى رسم و سیاوخش الذي عرض نفسه تخلصاً من حيل سودابة ، طامعاً بالصيت الذي سيكسبه من مقتل افراسياب ، فلذهب قاصداً ضيافة دستان في زابلستان ، فأقام عنده شهراً ، ثم أكمل طريقه متابعاً ، مجمّعاً جيوشه من كل مدينة كان يمر بها حتى وصل بَلخ ، فباغت جيوش الترك بغتة قضت على معظمهم . وأرسل الى والده رسولاً يستأذنه في عبور جيحون ، فكان له ما أراد . أما افراسياب الذي لحقته الهزيمة ، فقد حلم حلماً مزعجاً بعد تبليغه خبر انهزام جيشه . فلقد رأى نفسه في خيمة تحرسها مئات الجنود . وفجأة هبت ريح عاصفة اقتلعت الخيمة والحاشية ، فأصبح وحيداً بين جموع الإيرانيين الضخمة الذين ظهروا له ، وفي يد ورمح كل واحد منهم رأس جندي مقتول من جنوده . ومن ثم مسكوه ، وكبلوه ولكيكائوس قاده ، حيث أمر بقتله واستولى على سريره ملكه . فارتعد مرتجفاً ، وفي طلب المنجمين أرسل مسرعاً . ففسروا حلمه بأن قتل سیاوخش وعدم قتله سيجر الويلات على مملكة توران . فسعى لدى سماعه هذا الخبر الى الصلح وأرسل أخاه كريسبوز رسولاً الى سیاوخش .

وصل كرسيز ، وأفضى بمسا معه لسياوخش الذي استمهله للتشاور . فاجتمع برستم ، ورأيا إثباتاً لكلام افراسياب الطلب منه إرسال مائة رهينة ، والتخلي عن بعض أراضي توران لمملكة إيران . فأجبر الأخير على تنفيذ الرغبات وإرسال الطلّابات . لأنه لو لم يفعل فسَيُظَنُّ به السوء ويلحقه المكروه . أما سياوخش فأرسل رسم رسولاً الى كيكاوس مُشيراً عليه وقف الحرب . فما أن عرف الملك بذلك ، حتى ثار وتوعد وفي وجه رسم هدد . واتهمه بأنه حرّض ولده على وقف الحرب وقبول صلح افراسياب لما في نفسه من رفاهية وحب للمهادنة . وأمره بالبقاء عنده وأرسل طوس لقيادة جنده . فلما وصل الى حضرة سياوخش ، علم الأخير بغضب أبيه وبتصميمه على محاربة افراسياب . فاهتم واغتم ، ولنقض وعد افراسياب لم يكن مصمماً . فاختار من قواده زنكة بن شاوران رسولاً الى افراسياب يعلمه فيه تصميم أبيه على محاربته ، مُرجعاً له الرهائن ، سائلاً إياه السماح له بعبور بلاده ليسكن طرفاً من الأرض ، معتزلاً التاج والعرش ، متخلصاً من كيكاوس ، مُستريحاً من سوء خلقه وفساد طبعه . فرحب الأخير بقدومه ، وبالغ في إظهار مودته ورغبته في تزويجه إحدى بناته . فيصير إليه عرش إيران بعد وفاة كيكاوس ، وسياوخش عنده

بين يديه . فيصبح ملك الجانبين وصاحب الدولتين . عبر سياوخش نهر جيحون وهو حزين القلب . فترك ممالك إيران واتجه الى بلاد توران . فلما وصل استقباله بيران قائد جيش توران ، فرحب به أعظم ترحيب ، ونزل على كل طلباته مجيب . فاستأنسه سياوخش وسأله قائلاً : « هل يمكنني أن أثق بأفراسياب وأقيم عنده ، أو ألتجأ الى حصن آخر خوفاً منه ؟ » فاستوثقه بيران مؤكداً أن نفس افراسياب تعمل بغير ما تضرر ، وأن كل شيء في توران تحت إمرة بيران . وبعد مدة ، صارا كالصديقين ، بل صار بيران والداً وهو والداً . ثم ارتحلا الى افراسياب الذي ما ان رآه حتى بهتَ لجماله وحسن كماله ، وأنزله في نفسه أحسن منزلة ، وخلع عليه الهدايا والجواهر ، ونفائس الكنوز والذخائر . ومضت سنة على هذه الحال ، وافراسياب لا يرى ولا يفكر إلا بسياوخش فهام حياً به وأنزله منزلة ولده ووافق على تزويجه فري كيس بطلب من بيران ، بعد أن زوجه هذا الأخير ابنته الكبرى جريرة .

تمّ زواج فري كيس من سياوخش . فاجتمع الشمس بالقمر على حد قول زوجة بيران كل شهر التي حملت للعروس من خزائن دورها وقصور غزها ، أغلى البواقيت والجواهر

عن أحواله أجاب : « يا مولاي ، ما لي أراني الا نذير شؤم لك . فالملك افراسياب قد غيّر رأيه في حقك ، وهو يريدك أن تحضر اليه . لكني أنصحك وعن السوء أبعدك ، فاكتب اليه كتاباً تعتذر فيه عن سبب تأخرك بالرجل ، علني أهده ، وعن رأيه أغيّره ، بينما تكون قد خرجت الى مكان تكون فيه بآمن على نفسك وروحك » . ثم أخذ بنفسه الرسالة وطار مسرعاً الى افراسياب ، فوصل بثلاثة أيام . فلما دخل الى حضرة أخيه ، سأله عن عجلته وسبب رحلته ، فأجابه مشوّهاً الحقائق ، مُحَرِّضاً إياه على سياوخش الذي تفاقم شره واستفحل أمره . فما كان من افراسياب إلا أن حضر جيشه وبأمر سياوخش وجهته . فلما علم بقلومه ، ودّع زوجته فري كيس طالباً منها الحفاظ على ولدها الذي في بطنها ، وخرج . وبينما هو خارج مع حرسه ، لاقاه افراسياب بجنده . فساقتلا قتالاً عظيماً وقُبض على سياوخش الذي كُبل وسيق الى حضرة افراسياب . فلما مثّل بين يديه ، تردد في رأيه بين مستعجل في قتله ، ومستهل في سجنه ، وبتحريض من كرسيز وقواده سلمه الى كروزره الذي أخذه الى جنانب في الصحراء وذبحه فخنجر كرسيز الذي قدمه اليه في طست

محملة على أطباق من الزبرجد والذهب ، مضمخة بالمسك والعود الرطب . وانتقل سياوخش مع زوجته وصحبه الى ختن مملكة بيران فأقاموا عنده أياماً ، انتقل بعدها الى موضع آخر بني فيه مدينة دعاها بسياوخش كرد ، فكانت كالروضات منظرًا وكالقصور بُنياناً وعزّاً .

طلب افراسياب من أخيه كرسيز زيارة سياوخش للاطلاع على أحواله وأفعاله في مدينته الجديدة . فارتحل ، ولما وصل ، استقبل بالدرر المنثورة ، وأنزل مع حاشيته في القصور المبهورة . وأجلسه سياوخش قرب عرشه ، مبسوطين فرحين وبالشراب آمرين . لكن فرح كرسيز كان في الظاهر ، أما في الباطن فقد دخل قلبه الحسد والحالة نفسه اكتأب . وقرر أن يوغر صدر الملك افراسياب على سياوخش خصوصاً بعدما نازل هذا الأخير رجلين من أشجع رجال كرسيز فغلبها . فلما عاد الى افراسياب تفوه بالأباطيل وقال الأكاذيب عن سياوخش واتصاله سراً بأبيه كيكافوس ، وتخصيره آلاف الجيوش نلغ افراسياب عن عرش توران . فدعّر مماسم ، وبعث كرسيز ثانية الى سياوخش طالباً منه المجيء ، وفي ملك حضرته مقيم وصل كرسيز الى سياوخش مغتمّاً ومهموماً . فلما سأله

من ذهب . فنبئت مكان الدم نبات معروف بخون سیاوشان
أو بدم الأخوين .

٧

علمت فري كيس بمقتل زوجها فلطمت خدها ونبئت
شعرها ولعنت أباه الذي ربّاها . فما أن سمع صراخها حتى
أمر بها طالباً قتلها ، وإسقاط الوليد الذي في بطنها . لكن
توسلات بيران الذي قدّم بطلب من أخيه يسلم شفعت
لها . فأخذها وفي قصره وضعها طالباً من زوجته أن تنزل
في خدمتها كأنها ابنة لها .

الشار

ولدت فري كيس صبيّاً أسمته كيخسرو كما طلب
سياوخش قبل مقتله . فكان كوالده رسماً وكشكله قدّاً .
وفرّح بيران به وخاف عليه من افراسياب ، الذي ما ان
علم بمولده حتى أمر بيران بأخذه إلى الجبال ، ووضع
هناك ليكون بعيداً عن كل حقد وثأر لأبيه سياوخش .
فأخذته وعند الرعاة وضعه . فلما شبّ وتصيد من الغزلان
والأسود كثيراً ، أخذته بيران وربّاه . فلما أراد افراسياب ،
أخذه له بعدما نبّهه بتفريغ عقله ، وعكس كل سؤال
يسأله . فلما سأله افراسياب عن الليل والنهار ، أجابه عن
الأنهار . وعن أمه وأبيه ، أجابه عن معلميه ، فرضي
عنه ولبيران منحه . فأرسله هذا الأخير مع والدته فري كيس

فدخل رسمٌ ممالك توران ، ونزل فتكاً وذبحاً ، وهدماً وردماً ، وقتلاً وسيّاً . فأصبحت دورها على التراب والرياح تذرّوها كالرماد ، وذلك في أعظم ثأر وانتقام لم تعرفه ممالك توران . ثم قفل راجعاً إلى ممالك إيران فبقي في نيم روز عند والده دستان ، وأرسل قواده إلى كيكاوس لسانته إذا احتاج الأمر .

وكان عند الملك كيكاوس قسائدٌ يدعى جوذر بن كشواذ . رأى رؤيا تأمره بأن يرسل ولده جيو للبحث عن كيخسرو في ممالك توران ، والعودة به لاستلام حكم إيران . فننقذ ما أمّر به وأرسل ولده جيو بصحبة فرسه ووهقه . فدخل ممالك توران ، وأخذ يسأل ويستفسر عن كيخسرو . وكان يقتل كل شخص يسأله عن الملك الصغير ، لئلا يُداع أمره ، وينتشر سره . وظلّ يبحث ويبحث مدققاً ، مشككاً في أمره حتى مضت سبع سنوات .

وبينا كان ذات يوم يستريح ، ويرعى فرسه في مرج أخضر ، جاءه شخص كالقمر الطالع والسرو الباسق . فعرف أنه كيخسرو ، فأقبل عليه مُقبلاً وعن حاله سائلاً . فأيقن أنه الملك الشارد كالغزال الوارد . وعرف كيخسرو أنه جيو بن جوذر الذي حدثه عنه والدته

والآلاف من الهدايا والأسلحة والملابس إلى مدينة والده سياوخش كرد .

في الناحية الأخرى من الأرض ، كانت الجموع تبكي وتنوح . وكيكاوس يهدأ ويثور بعدما علم بمقتل ابنه . فطالب بأخذ الثأر ، ولاقساه رسم لنفس الأمر ، فجاء ناحياً وعلى شباب سياوخش أسفاً . ودخل على الملك مؤنباً ، وعلى زوجته مُحرضاً . فهجم كيكاوس على غرفتها وشدها من شعرها وقتلها بسيفه . وتوجه بعسكر عظيم لم يكن للملوك الإيرانيين مثله في القديم ، مصمماً على ذلك معاقل توران وقتل افراسياب . فوصل إلى اسفنجاب ، ونازل فرامرز بن افراسياب ملك تلك المنطقة . فقتله ، ونهب مملكته وأحرقه .

تناقلت الأخبار بطش رسمٍ وقواده ، فلاقاهم افراسياب مع ولده سرجه الذي أسير وذبح حسب ما فعلوه بسياوخش ، حذو السن بالسن والعين بالعين . ثم تلاقت الجيوش والتحمت التحاماً عظيماً . فتبارز الفرسان وتناهض القواد ، واخترقوا بعضهم بعضاً . فتجذلت الجثث وطارت الرُكَب . وجرح رسم افراسياب الذي هرب دون أن يعلم أحد بهروبه .

عظيم العدد والعدة ، وأراد أن يقطعه . فنهاه هومان أحد قواده ، فظلّ مكانه وبينه وبين ملك ايران وتوران (أي كيخسرو) موج متلاطم وثار متفاقم .

وصَلَّ كيخسرو إلى خراسان من ممالك ايران . فأقيمت الزينات والحفلات ، ونُشِرت الجواهر والمزاهر . وظلّ فيها أسبوعاً في قصر جوذرز . ثم انتقل مع صحبه إلى اصطخر لرؤية كيكاوس . فلما وصل، تهافت الملوك والأمراء لتقديم ولاء الطاعة ، مرجحين مهالين ، ولِمَلِكِ ايران وتوران داعين . لكن طوس بن نوذر تخلف عن الحضور، وتهادن في استعجال الأمور ، محتجاً بعدم تسليم الملك إلى كيخسرو من نسل افراسياب وشجرة بشنج ، ما دام هناك فريبرز بن كيكاوس أحقّ بالسلطنة وإدارة المملكة . فغضب جوذرز من كلامه ونهض اليه مع أولاده السبع والثمانين باثني عشر ألفاً من الجنود . فلما التقيا للمنازلة استعداداً ، استدعاهما الملك كيكاوس طالباً منها بثّ ما في قلبها . فلما أدرك انهما يتنازعان على من سيكون ملكاً من بعده ، أمرهما بالتوجه إلى قلعة بهمن في أرض أذربيجان ، وتخليصها من أيدي الإنس والجان . والذي ينجح ، يوليّ ملكه رأس المملكة وتاج السلطنة . وهكذا

فتمانقا وتصادفا ودخلا سياوخش كرد لإخبار فري كيس التي ما ان رأت جيو حتى علمت بمقصده وقوة شجاعته .

حرب الثلاثة نحت جنح الظلام قاصدين ممالك ليران . لكن خبر الهروب انتشر ، ولأذن بيران وصل . فأرسل شرذمة صغيرة من قواده وعساكره وراء الهاربين . فلما لم تستطع قتلهم ، قام هو بنفسه سائراً في اثرهم مسع عدد كبير من جنده وعسكره .. فالتقوا في واد عميق ، كثير المياه ، واستطاع جيو بحيلة أن يجلبه لوحده للضفة الأخرى من الوادي . فنازله واستطاع أن يكبله، ويلبس ثيابه وسيفه ورعته . ورجع إلى جنوده فاتكاً بهم ، قاتلاً منهم خلقاً كثيراً . ثم رجع إلى بيران وأراد أن يقتله لكن فري كيس تشفعت له وفاء لعمله . وظلوا هاربين كاللصوص شاردين حتى وصلوا ضفة نهر جيحون وأرادوا أن يقطعوه ، فنفهم صاحب السفن طالباً واحداً بأربع . فإما الدرع ، وإما الفرس ، وإما كيخسرو ، وإما فري كيس . لكن جيو رفض وقال لكيخسرو : « إن كنت ابن سياوخش حقاً، فتخضّ هذا الماء كما فعل افريدون من قبلك » . فنزل عن حصانه وسجد لله تعالى ، وقطع الموج المتلاطم إلى الجانب الآخر ، فسلم من افراسياب الذي صار وراءه بجيش

كان . فلم يفلح طوس في محاصرة بهمن لأن أسلحته صارت كالحديد المذاب من شدة الاله الذي صادفه على الباب . اما كيخسرو فهذد أهل القلعة وتوعد . وربط تهديده على رأس رمح وضعه جيو في حائط القلعة على اسم الله تعالى . فهبطت القلعة وطارت الجن والغفاريت كالجراد محدثة وراءها طيباً أسود وغباراً أمرد . ثم رجع إلى كيكاوس وتسلم العرش والتاج ، وصفح عن طوس وأدخله في خدمته .

جلس كيخسرو على عرش ممالك إيران . وبسط العدل والإنصاف والرحمة والإحسان . وزار كل الممالك ، بانيماً الأراضي المهلدة ، رافعاً لواء السلطنة . حتى استراحت البلاد في عهده وفي ظل ملكه . واجتمع بعد مدة من حكمه مع كل ملوك إيران ، ممن رسم ودستان إلى طوس وجودرز وشاكس وزنكه بن شاوران قائد عساكر بغداد . فعاهدوه على الوفاء والانتقام لسياوخش بن إيران ممن افراسياب ملك توران . ثم سلم قيادة جيشه إلى طوس بن نوذر وفاء للعهد ، طالباً منه الثأر ، وأمره بعدم سلوك طريق قلعة كلاب لئلا يعتقد صاحبها ، وهو أخوه من جريرة بنت إيران أنهم في قصده . فلما ارتحل وللمكان وصل ، فضل أن يأخذ الطريق المذكورة لكثرة مياها وعمرانها .

فلما عرف صاحب القلعة فروذ بقدمهم ، نصحته والدته بالانضمام اليهم ومعاونة مقصدهم في الثأر لوالده ممن افراسياب . فذهب مع تخوار أحد فرسان قلعته ، ووقفوا على قمة جبل عال ، يرقبان طوس ورجاله . فلما أن رأوها حتى انتدب بهرام بن جودرز لرؤية أحوالها ومعرفته نواياها . فلما صعد اليها ، وحقق في أمرهما واستبان مقاصدهما ، خر ساجداً لابن سياوخش وشقيق ملكه كيخسرو من الأب الواحد . وعاهده على إبلاغ أمره إلى قائده . لكن طوس لم يرض بالأمر الواقع ، واستعاض عنه بالحكم القاطع . وبعث ريو أشجع فرسانه ليأتيه برأس ذلك التركي . فصعد إليه . فلما رآه فروذ ، وكان قد تواعد مع بهرام على المجيء إذا وافق طوس ، أخذ رجه وفي القلب أصابه فمات ريو ، ومن بعده زرسب الذي كان صاعداً لنفس الغاية . ثم رمى فروذ نشابه على طوس وجيو فأصاب فرسيهما . فثار بيثرن ابن جيو على ما أصاب والده . فصعد كالسهم الخارق والرعد البارق . واستطاع أن يردع فروذ إلى القلعة ، ثم رجع إلى معسكر جيشه . فلما أصبحوا ، على القلعة هجموا . وظلوا يتقاتلون حتى بقي فروذ وحده . فضربه رهام ضربة أطارت يده . فرجع إلى القلعة ، ومات متأثراً بجراحه . أما والدته جريرة فأحرق جميع الذخائر والأسلحة وأخذت

لم يَزَحْزَحُوهُ . وهرب الذي هرب واحتموا في منفع الجبل متفقدين أحوالهم ، متفقدين موتاهم . فلما اجتمع من بقي ، أرسلوا رسولا إلى كيخسرو يعلمونه بالأنباء المفجعة والكبسات المبيغنة . فلما وصل إلى حضرته وكان بعد لم يَفِقْ من صدمة وفاة أخيه . ثارت نائثرته على طوس لطيشان عقله ونقص منطقته . وكتب رسالة إلى عمه فري برز يسلمه زمام العسكر والدرفش (اللواء) الميمون ، ناصحاً إياه بمشاورة جيوبن جوذرز في كل شاردة وواردة .

استلم فري برز ما أمره به ابن أخيه . وأخذ يرتب الجيش مسلماً فِرَقَه إلى القواد الذين بقوا . وهادن بران مدة من الزمان . فلما انتهت المدة ، وكان فري برز قد استعد . دارت الدائرة مرة أخرى على الإيرانيين . فاستبسل جيو وأولاده وأحفاده خصوصاً بعد هرب فري برز بالدرفش المنصور . فأمر جيو حفيده بيترن باسترجاعه . فلما لم يقبل فري برز استل سيفه وشرطه إلى شطرين . ثم رجس إلى وطيس المعركة بنصفه مفدياً دمه ليبقى مرفرفاً . خسر الإيرانيون الجولة الثانية من المعركة . وفقد منهم من العدد والعدة أرقام لا يمكن حصرها ولا عدّها . فقفلوا راجعين إلى كيخسرو تاركين وراءهم خيماً مضروبة وخزائن

خنجرأ طعنته في صدرها وماتت إلى جانب ولدها . دخل طوس القلعة نادماً ، وعلى سوء فعلته شاتماً . وحنطوا فروذ ودفنوه في ناووس على رأس الجبيل الذي كان عليه . وتابع طوس طريقة إلى تركستان فوصل كاسرود (وادي كاس) وقتل بلاشان الخارج من عند افراسياب ليتعرف على أحوال العسكر ويقف على عددهم وعدتهم . جاء الشتاء بعواصفه وثلوجه وطوس في مكانه . فسدت عليه المنافذ والمخارج ومات من جنوده العدد الكبير . فغير دربه وعدل خطته . وكان افراسياب قد وضع جبلاً من الحطب في الطريق التي ساروا عليها . فلما وصلوا ، أمر طوس جيو بإحراقها . وظلوا ثلاثة أسابيع حتى خمدت نارها وانطفأ لها . فقطعوها إلى جيو كرد ، والنقوا بئراو أحد حماة أراضي افراسياب . فنازلوه وقاتلوه وعن أرضه أراحوه ، فهرب إلى ملك التورانيين منبأ بقدم جحافل الإيرانيين فأمر بران بالتأهب والاستعداد .

رحل بران وقطع ، وبالجواسيس وأصحاب الأخبار اجتمع . فأخبروه أن الإيرانيين في غفلة من أمرهم من كثرة شربهم وسكرهم . فهجم عليهم هجمة حسبو لها أن الصباح قد أبكر في طلوعه ، فقاموه وحاربوه ومن مكانه

على رأس جيش عظيم ولّى قيادته لفريبرز الذي كان قد تزوج أمه فري كيس ، فرضي عنه . فلما وصل رسمتم بإمداداته ، ونزل في الجبل على إخوانه . هالولوا فرحين ولاستقبال القادم انتشروا مخبرين . هـذا يحده عن قلقه ووجهه ، وذلك يخبره عن جند توران وكثرة عددهم بقيادة بيران . فأخذ يرتب جيشه ، وينظم صفوفه جاعلاً جوذر على الميمنة ، وفريبرز على الميسرة ، وطوس بالقلب . وانظروا يتحضرون للهجوم .

في الناحية الأخرى من الجبل كان بيران قد استعد بأعداد عيدة ، يسانده في ذلك الجيش العظيم ، خاقان الصين ، وكاموس الكشاني بطل أبطال بلاد ما وراء النهر ، الذي ضربت به الأمثال بالشجاعة والقوة، والجرأة والمروءة ، اللذان لما وصلا ، وبضياقة بيران نزلا ، أخذوا يتشاورون والحرب يعدون . فوضع الخاقان نفسه في القلب وكاموس على الميمنة ، وبيران على الميسرة . فهذا المعسكر يخاف من عدد الإيرانيين ومن سمعة رسمتم . وذلك المعسكر يخاف من كثرة عددهم المجموعة من بلاد الصين وسقلاّب والهند .

دقت الطبول لبده الهجوم من كلا الجانبين . فاشتبك

مروكة ، هجم عليها بيران فأتى على معظمها وفرّقها على جنده وعسكره .

غضب كيخسرو والتهب ، وصبّ جام ثورته على طوس وفريبرز ومنعها مع قوادهما من الدخول الى حضرته . ولم يزل على قسمه حتى تشفع لها رسمتم بطلب منها . فعاد طوس ودخل عليه وعرض مقاتلة افراسياب من جديد فوافق كيخسرو بعدما استشار رسمتم .

سار طوس بجيش عظيم ، فقطع الصحراء ووصل الى وادي الشهد . وتراسل مع بيران محرضاً إياه على ترك توران والاتجاه نحو إيران . فما كان من هذا الأخير إلا أن استنجد بأفراسياب وبساحر عنده يدعى بازو ، الذي صعد الى جبل يطل على الوادي . فأرسل عواصفه الثلجية ورياحه الشتائية . فتسمرت أيدي جنود إيران على أسلحتها، ونزل الترك بهم قتلاً وبطشاً . فسالت الدماء كالأنهار ، وغطت الأودية حتى صارت كالبهار . لكن رهام أحد قواد طوس رأى بازو في أعلى الجبل . فصعد اليه وقتله وأزال سحره فرجع الطقوس الى ما كان . ثم تحصن جنود إيران بجبل يدعى هماون وأرسلوا الى كيخسرو يطلبون رسمتم . فساعدهم وعلى طلبهم أجابهم . وأرسل رسمتم

لمرة افراسياب . ثم وقف على طلبات رسم في وقف الحرب . فلما عاد وقابل الخاقان نصحه بوقف القتال ، إلا أن شُكل الهندي ملك الهند ، غير من رأي الخاقان ، وبأمل الانتصار وعده بأمان . فتحضروا للحرب نزولاً . بعد أن رفضوا طلب رسم . وتقدم بيران من شكل الهندي مذكراً إياه بوعد الانتصار . فما كان منه إلا أن قسم الجنود إلى ثلاثة أقسام واضعاً في كل قسم ثلاثين ألفاً ، يبدو من خلالها القبيلة العظام ، ثم نزل طالباً منازلة رسم . فتقابلوا وعلى الثأر تنافسا . فهرب شكل مُتجنباً بجوده ، وتقدم رسم خارقاً بصفوفه . وأخذ يدور زائراً كالأسد ، مفتحاً الأقسام ، مشتتاً شملهم حتى وصل إلى الخاقان . فضربه بوهقه وأنزله عن فيله . فكبلوه وأخذوه أسيراً . فلما رأى بيران ما حلّ بجيش افراسياب ، ولى هارباً ، كالغزال راكضاً . أما رسم وقواده ، فاستباحوا خيمهم ونهبوا أرزاقهم . وحملوا قسماً كبيراً بقيادة فري برز إلى كيخسرو . وتابع رسم طريقه في قصد افراسياب . فوصلوا أرضاً واسعة للمراعي البانعة . فنزلوا فيها وبقوا ردىاً من الزمن يأكلون ويشربون وينصرهم ينتشون . أما فري برز الذي وصل إلى كيخسرو فقد استقبل استقبالاً عظيماً . داعياً مع الملك إلى بقاء رسم بن دستان بطل ممالك إيران .

الجيشان في قتال عظيم ، وخرقت الصفوف . وتقدم من جموع التورانيين فارس يدعى اسكيوس طالباً المبارزة . فنزل إليه رسم بعد رهام بن جودر . فرماه بنشابن أصاباً فرسه وصدّره فقتل ومات .

ولما صاروا في اليوم الثاني ، تصاحوا للقتال ، وتقدم كاموس الكشاني طالباً الذي قتل اسكيوس غير عالم أنه رسم . فنزل هذا الأخير لابساً درعه ، حاملاً سيفه ووهقه ، مستطياً رخشه . وضربه ضربة أنزلته عن فرسه . فأسره وأخذَه لأصحابه الذين أنزلوا سيوفهم به . فتناثرت أوصانه وأجزاؤه ، وتطايرت أعضاؤه وأشلائه ، أخذت بثار الفارس الواذ الذي كان قد قتله قبل منازلته رسم . فنذعير الأتراك لموته غير عالمين أنه قتل على أيدي رسم . ثم أرسلوا هومان لمعرفة من هو من الفرسان . فلما اقترب وساءله عن حاله ، عرف أنه رسم الذي طلب منه وقفاً للحرب تسليمه قتلة سياوخش ومقابله بيران . فبرز بيران هائجاً ، ولسر ادق رسم مشى خاضعاً . فتصافحا وتعاثقا ، طالباً الصفح من رسم وكيخسرو ، ذامتاً شائماً افراسياب الذي لولاه لهدأت الأرض ، وإنه لو اختار ففي ملك كيخسرو صار . ولكن ما الحيلة وكل أقاربه وأقرانه تحت

جَمَعَ افراسياب أمراءه وأعوانه للتشاور والتداول بعدما سمع بمقتل كاموس وأسر الخاقان وانهزام بيران . فنصحوه بالتصدي لابن دستان قبل أن يتوغل في بلاد توران ، فيقْضُ ملكه وينزل عهده . فهياً جيشاً عظيماً ، وأرسل مع ولده شيد رسالة إلى جني يُدعى بولاذوند يعده فيها بنصف مملكه إن هو تمكن من رسم . فجاء هذا الأخير مع أصحابه ووعده بالغلبة إن اتبعوا طريق الحيلة . في هذه الأثناء كان رسم قد ترك أرض إيران وتوغل في ممالك توران . فوصل قلعة حصينة لملك يُدعى الكافور من آكلي لحوم البشر . فحاصر القلعة ورمها بالسهم بعدما استعصت على قائده كستهم وجنده الذين قُتل منهم عدد كبير . ثم أمر الحفارين بوضع أسسها ومبانيها على ألواح من الخشب . ورمها بالنار واللهب . فانهدت على من فيها . ثم أكمل طريقه واستولى على ديار الخُتن ، فأصبح قريباً من أرض افراسياب . وفجأة تلاقى الجمعان بسيف صليبة ورماح كثرة . واستطاع بولاذ الجني حشر طوس وجيو وبيرن ورهام . وشطر اللواء إلى شطرين . فلما رأى رسم ما حلّ بقواده ، تصدى لبولاذ . فنازله وصارعوه وفي أرضه وضعه . فوثب هارباً ولأفراسياب مُخبراً ، الذي كان قد أخذ صحبه وغير دربه . وجمع ما يمكنه حمله

من النفائس والذخائر . وتوجه ليعبر إلى الناحية الثانية من بحر الصين، متقدماً رأسه، حافظاً جالده . أما رسم فقد رجع إلى الملك كيخسرو بعدما أقام زمناً في بلد افراسياب . فاستقبل كالفاتح مرشوشاً بالروائح . وبقي مدة عند الملك بين شرب ورقص وفرح ومرح .

وكلّفه كيخسرو وهو عنده بالقضاء على اليعفور الذي ظهر فجأة وأخذ يقتل الخيل بعد انقضاء الليل . فخرج رسم إلى الصحراء التي ظهر فيها ، باحثاً بين مروجها ومراعيتها . وظلّ على تلك الحال ثلاثة أيام . ولما كان اليوم الرابع ، مرّ اليعفور من أمامه كالريح الهوجاء في مسابقة الغنقاء . فلحقه رسم ولم يجده فأدرك أنه أكوّان الجني . ثم ظهر له في آخر الصحراء . فلحقه مُسرِعاً ونام بعد ثلاثة أيام متعباً . وبينما هو نائم ، اقترب أكوّان من المكان وكوّر الأرض النائم عليها وحملها بين يديه . فاستيقظ رسم من نومه، وأخذ نفسه على غفوته . وكان يدرك أن الجني يعمل بعكس ما يُقال له . فلما سأله الجني عن الموضع الذي يريد أن يرميه فيه أجابه على اليابسة حتى يقتل الأسود والسباع الضاربة . فرماه هذا الأخير في البحر . فأخذ يسبح بيده اليسرى ويقتل الحيتان وسباع البحر باليسرى.

لاستراق النظر بدون خفر . فلحظته منيرة جالساً تحت ظل شجرة . فوقعت في حبه وأرسلت خادمتها تستدعيه . فلما جاء مجلس معها تحت الأفياء . يشربان ويتنادمان وحباً يزددادان . ولما أرادت الارتحال سقته دواء مُرقِداً ، وحملته معها الى منزل والدها بعدما ضاجعته ومن حبها استوهبته . فلما استفاق ، وجد نفسه في أرض توران وفي قصر افراسياب بالتمام . لكن أمره عُرِفَ وسره كُشِفَ . فقصدته كرسبوز بناءً على طلب أخيه أفراسياب . فدخل قابضاً عليه بحيلة ، ثم جره الى الملك افراسياب الذي أمر بصلبه ، وزَهَقَ روحه . لكنه عاد وغيرَ رأيه بعد تشفعات بران ، وأمر بوضعه في بئر مظلمة لا يدخلها نور الشمس ولا القمر ، وسدَّ بابها بالحجر الضخم الذي أتى به أكوان الجني من بحر الصين . أما ابنته منيرة فقد استباح ملكها ، وإلى الصحراء جرَّها . فأخذت تطوف باحثه عن كسرات خبز تعطيها لبيرن من الثقب الذي في باب البئر :

رجع جُرجين وهو حزين بعدما حاول العثور على بيرن . فلما رآه جيو والد بيرن . سأله عن ولده . فشوه له الحقائق قالاً إياها رأساً على عقب ، فأخذ يلطم ويندب موصولاً أمر ابنه الى الملك كيخسرو ، الذي هدأ أمره

فلما وصل إلى الشاطئ ، نشَف ثيابه وغسل جسده وشكر ربه على نجاته من الخطب العظيم . ثم عاد الى المكان الذي اختطفه فيه أكوان وهو من مُلك افراسياب الذي خرج لمقاتلته بعدما علم بوجوده . فقاتله طويلاً وقتل من جند افراسياب عدداً كبيراً . ولما ظهر له أكوان ، قاتله في ذلك المكان . فرماه بوهقه وقتله وقطع رأسه الكبير الذي يشبه رأس فيل ، ومن ثم علّقه بسرجه وعاد الى الملك كيخسرو . فاستقبل بالعباب المبارزة والمطاردة وجلس مع الملك وصحبه يتعاطون كؤوس الأرجوان على الورد والريحان الى تمام أسبوعين . ثم ارتحل الى زيارة والده بعدما خلع عليه الملك خلعة تشتمل على أصناف الكرامات والمبرات .

ذات يوم كان كيخسرو جالساً في مجلسه ، فجاءه جماعة من أهل أرماني (وهي ناحية بين إيران وتوراني) مستنجدين ومن الخنازير البرية هاربين . فرق لهم ، وأوصى بيرن ابن جيو الذي عرض نفسه للخدمة بمقاتلة الخنازير ، مصطحباً معه جُرجين بن ميلاد العارف ببلاد توران وبشعاب أرماني . فلما وصلا الى هناك ورأى جُرجين شجاعة بيرن في محاربة الخنزير . دخل إليه الحسد وفي قلبه اتقد . فأشار عليه بروضة غناء تذهب اليها منيرة ابنة افراسياب . فذهبا

فأمسوا ولما أصبحوا ، نظر الملك في أحوالهم ومن الجواهر والخلج النفيسة أهداهم .

هــالَ افراسياب الهجوم الذي حصل في عقر داره . فأرعدَ وأزبدَ وأذر وتوعد . وراسل بغير ملك الصين وسائر ملوك الأطراف فأنجدوه بجيوش جرّارة كالأمواج الهدّارة لم يحصل عليها أحد من ملوك الترك قبله . فرتبها وقسمها ووضع قواده في قيادتها . ثم وجهها لللاقاة جنود كيخسرو في سائر الممالك والأطراف . وسير مع بران خمسين ألفاً . فوصلوا إلى جبل عظيم حوصِرَ بالإيرانيين . فوققوا واستعدوا .

أما كيخسرو فلما وصلته أنباء افراسياب ، جمع كل فارس ومقاتل من بلاد الروم والهند والعرب . وقسمَ العسكر إلى أربعة أقسام . فجعل رستم يتجه إلى سجستان .. ويتوغل في بلاد الهند وغزاة فيفتحها . وأعطى لهراسب ممالك الان . وجعل اشكس يتوجه لللاقاة شيذه بن افراسياب . وجعل على القسم الرابع جوزفرز بن كشواذ وغيره من القواد . فساروا حتى صار الجبل عن يمينهم ، والماء عن يسارهم ، والعدو من ورائهم . فخيّموا هناك واستعدوا .

رتبَ القواد صفوفهم ، وقسموها إلى ميامن ومياسر

وخفف روعه واعدأ بالنظر في الفلك وإخباره بأحوال ابنه . فلما نظر ، وعن أحوال بيژن اطلع . أرسل مع جيو رسالة إلى رستم يدعو فيه للنهوض وعن ابن جيو يذود . ففعل بما أمر ، وتوجه إلى الملك ، وبقي عنده مدة في روضة كأنها الجنة . آكلآ شاربآ ومن الفرح والمرح غارفاً . ثم جمع نفسه مع سبعة من أمراء البلاد ، وجرجين الذي تشفع له عند الملك فرضي عنه ، وعدد كبير من الجنود قاصداً أرض توران . فدخلها متنكراً مع أصحابه بزي تاجر . فلما سمعت منيرة بالتجار القادمين من بلاد إيران ، قصدهم وعن أمر كيخسرو وجيو سألتهم . لكنهم أبعدوها وعن الأمر نهروها . ثم لطفوها بعدما عرفوها ، وأخذ رستم يسألها حتى عرف أحوال بيژن . فوضع خاتمه في فرخة وأمرها بأن تأخذها إلى بيژن ، الذي ما أن رأى الخاتم ، حتى حللّ وللمنقذ بشر . وفي ليلة ظلاء ، اتجه رستم مع صحبه إلى مكان البئر . فآزاح حجره وحده ، وأخذ عهداً من بيژن بالصفح عن جرجين . ثم انتشله وفي بيته وضعه مع منيرة . وأمر عسكره بالهجوم على قصر افراسياب . فهجموا وقتلوا وذبحوا ونهبوا ثم رجعوا إلى حضرة الملك كيخسرو الذي أعمد لهم مقصفاً فاخراً ومكاناً باهراً .

وقلوب . وظلوا على حالة التأهب خمسة أيام . فلما انقضت جاء بيرن الى والده داعياً إياه الى شن الهجوم . فاستمهله وعلى خطته أطلعه . وفي الناحية الأخرى ، كان هومان شقيق بيرن يحث أخاه في بسء القتال . فلما لم يلقَ منه جواباً . تقدم داعياً للمبارزة . فلاقاه بيرن مُلبياً دعوته : فتنازلا وتقاتلا ، وبالرماح والسيوف تطاحنا ، ثم استراحا قليلاً ليعاودا القتال . فلما رجعا تمكن بيرن من هومان بضربة أوقعته أرضاً فاستلَّ خنجره وذبحه . ولما رأى نفسه سيعود من أرض عدوه ، لبس لباس هومان ، وتسليح بأسلحته حتى وصل الى معسكره . فلما رآه الجنود سالماً ، شكروا ساجدين ، وإلى ربهم مبتهلين .

أما بيرن فقد حثَّ شقيقه الثاني نستهين على الأخذ بالثأر . فتقدم بجيوش كثيرة ، ما أن أصابتها سهام الإيرانيين حتى فروا هاربين تاركين خلفهم جثة قائدهم نستهين . فأرسل بيرن رسولاً يطلب النجدة . وحذا حذوه جوذرز الذي ما أن وصل ابنه هجير الى الملك كيخسرو ، حتى رده مُبشراً ، وعن النصر مُبلغاً . فقد استولى رستم على قشمبر وكابل ، وأشكس على خوارزم بعد هزمه شيذه ابن افراسياب ، ولهراسب على ممالك الان الى أقصى الخزر.

وأرسل له طوس ليعاونه في صد أفراسياب إذا عنَّ له أن يقطع نهر جيحون مع العلم أن جنودهم قد توغلوا في ممالك توران وحكموها بعد إيران .

لجأ بيرن الى الحيلة عندما عرف بتوغل جنود إيران في ممالك توران . فبعث مع ولده روئين رسالة الى جوذرز يقترح فيها وقف الحرب وإعادة تقسيم الممالك ، وحجته في ذلك الخوف على البقية الباقية من جنود الإيرانيين من فتكه وبطشه . ثم ختم رسالته قائلاً : « فإن أبيت ، وعلى الحرب نويت ، لاقني مع عشرة من أمثالك للتبارز واحداً واحداً لنرى من ستكون له الغلبة بعد هذه الواقعة » . رفض جوذرز اقتراح بيرن ، ولاقاه في عشرة من كبار قواده مثل فري برز بن كيكاكوس ، وجيو بن جوذرز ، ورهام ابن جوذرز ، وبيرن بن جيو ، وهجير بن جوذرز ، وزنكه بن شاوران ، وجرجين بن ميلاد . فقتل كل واحد منهم ، قريناً له من قواد الأتراك وأشجع فرسانهم . ثم تقابل جوذرز وبيرن وظهرت الغلبة للأول حين ضرب فرس خصمه بنشابة رمت صاحبها عن ظهره . فلحقه واستمهله . فرق قلبه له . لكن لما ظهر لؤمه وشره ، رماه جوذرز بقوس أصاب ظهره . ففار الدم من فمه وتقدم

عَلِمَ افراسياب هزيمة جيشه ، وبقتل بران وأخويه.
فتألم وبكى، ومن ظلم كيخسرو شكاً. وأقسم أن يرد الصاع
صاعين وينتقم من كيخسرو. فجهّز لذلك جيشاً من أعظم
وأضخم جيوش توران ، وتوجه وقطع نهر جيحون بآلاف
القوارب في مدة أسبوع. فلما وصلوا ، تأهب الجيشان ، ولم
يحركا أي ساكن للحرب . ولما كان اليوم الثاني ، أرسل
افراسياب ابنه شينه رسولاً الى الملك كيخسرو ، يعرض
عليه السلام والعيش في وئام ، فإن أبى وللقتال نوى فهو
مستعد وولده شينه للمبارزة ، ليجنبا جيشها أخطار الحرب
والقتل . فتشاور الملك مع قواده الذين أشاروا عليه القبول
وعلم دق الطبول ، إلا رسم فقد رفض . فنزل الملك عند
رغبته محتجاً بأنه لم يتحمل عناء السفر للموافقة على السلام .
وقبل بدء القتال ، تبارز كيخسرو وخاله شينه . فغلب
الأول ، وخارت قوى الثاني ، فطلب المبارزة مترجلاً ،
فلما ترجلا والمصارعة ابتداءً . رماه كيخسرو الى الأرض ،
واستل خنجره وشق صدره . وعندما علم افراسياب بموت
ولده ، شق ثيابه ورثى حاله ، وهجم مع قواده على
جنود إيران فتطاحنوا وتصارعوا وذهب منهم خلق كثير مما
أدى بكرسيوز شقيق افراسياب الى وقف القتال والهروب
مع أخيه وجيشه قاطعين نهر جيحون الى ممالك توران . فلما

جودرز شارباً من دمه ، منتقماً لسياوخش ولأولاده السبعين .
ثم تركه وأرسل ولده رهام ليجلبه مع الآخرين ، ليراهم
الملك كيخسرو لدى وصوله. الذي ما أن وصل، حتى سجد
لله العليم ، القادر على كل ذي شأن كبير . ثم أجرى
جودرز ممالك أصبهان ، ووضعها على عرشها وتاجها .
وخلع على كل القواد والأمراء ما حصلوه من عسكر
بران ، الذين جاؤوا يطلبون الأمان . فأدخلهم في طاعته
وبشهم في مرافق البلاد . ولما رأى جثة بران ، بكى
وفاضت دموعه لما سلف اليه من الإحسان ، وذكره بالخير
وأسف على موته ، فقد سبق السيف العذل . ثم أخذ
خرزة كان قد ورثها من أجداده ، فشدّها على عضد كستهم
الذي جرح بعد قتله فرشيذ ولُهاك ، ولدي بران ،
الذين لحقهما ، وقرب النهر فتك بهما. وظلّ متأثراً بجراحه
حتى أسعفه بيرن بن جيو ، فنقله محمولاً ليكحّل رؤيته
بوجه الملك قبل أن يموت . لكن الملك شفاه ومن كثير
نفائسه أعطاه . وصمم كيخسرو على اللحاق بأفراسياب
وقطع نهر جيحون . فجهّز لذلك جيشاً يفوق كل
الجيوش التي قادها عدداً وعدة ، اعتمد في معظمه على
القبيلة التي كانت تقل أبر: قواده .

كيخسرو على عرش القلعة بعد هرب افراسياب من باب سري مع ألف من الجنود . فحكم وعمرّ وبالإحسان سيطر . ولما جاء الربيع جاءته الأخبار عن افراسياب واستنجاده بالخاقان بغيور ملك الصين . وأنه متجه اليه في جمع مُتلاطم وعسكر متفاقم . فخرج من قلعة كُنك ووجه عسكره نحو افراسياب . وبعد مدة من المسير ، تقابل الجيشان وهم على مسافة ميلين . وأرسل افراسياب رُسله لمعاودة طلب السلام ووقف الحرب . لكن كِيخسرو رفض ، وأراد متابعة القتال ، وطلب من جنده عدم المجيء بأي حس أو حركة حتى يشعر عدوهم أنهم نائمون ومن كثرة الشرب يترنحون . ففعلوا وعلى أمره نزلوا . فلما فاجأهم افراسياب انقضوا كالصقور الباسلة في السماء الشاسعة . وكالمرّة الأخيرة أذرى الله في عيونهم رياحاً ترابية ، وفي نفوسهم انهزاماً مدوياً . فطلبوا الأمان بعد هرب افراسياب الذي توجهه مستجداً بملك الصين ، فلم ينجده ، وعن ممالكه أبعده . فرجع سائراً الى بحر قزوين . فركبه حتى وصل الى قلعة كُنك دز ، فنزل فيها وتحصن ببعدها عن مكان كِيخسرو .

اهتم كِيخسرو بالأغنام التي غنمها من بلاد افراسياب فحمل الكثير منها على ظهور الفيلة والبغال والثيران الى

وصلوا تحصنوا كالأسود في مقر ملكهم ودار عرشهم . قطع كِيخسرو نهر جيحون وتابع فتوحاته في بلاد الترك مُعطياً الأمن والأمان والعدل والإحسان لكل بلد من البلدان . ثم التقى افراسياب بمدينة كل زريون . فتحاربا وطلب من الله تعالى أن ينصره ، وعلى عدوه يقهره . فانزل الله ريحاً عاصفة ذرت التراب في وجوه الأتراك . ففروا هاربين وأسلحتهم تاركين . وهرب افراسياب أيضاً وتحصن في قلعة منيعة ، ذات أبراج شاهقة وطويلة . تتصل بالجبل من جهة وبوادٍ عميق كثير الماء من جهة أخرى . فركب عليها المناجق والرماة ، وسمكتها بالحجارة . فلما وصل كِيخسرو أمام القلعة ، خيم مع جنوده حواليتها ، ووضع رستم في اليمين ، وفريبرز في اليسرة ، وجوذبرز في ناحية أخرى مُستعداً للحصار وبدء القتال بعد رفضه السلام والمبارزة مع افراسياب .

شن كِيخسرو الهجوم من كل الجهات . فأحدث بذلك بلبلة في صفوف رماة القلعة ، وأشعل النار في الخطب الموضوع على بابها فخافوا وذُهِلوا . وتمكن رستم من الدخول من ناحيته ، ففتح الأبواب وتدفق الجنود كالمياه في الأخصدود . فأسروا ونهبوا وحرقوا وقتلوا ، وجلس

ملك جده كيكائوس مع جيو بن جوذرز الذي ما ان وصل الى كيكائوس حتى خلع عليه الهدايا ، وأنزل أسراه ومنهم جهن بن أفراسياب أحسن الأماكن ، جاعلاً في خدمتهم مئات الخدم والحشم . ثم رجع جوذرز الى كيخسرو وأبلغه رسالة جده ففرح بها ، ورحل عن كك منصباً مكانه كستهم بن نوذر . فوصل سياوخش كرد المدينة التي بناها والده . فبكى وتضرع ومن كأس الصبر تجرع ، وأكمل طريقه الى بلاد الصين ، فاستقبلوه مرحبين نازلاً في ضيافة ملك الصين ثلاثة أشهر . ولما أراد أن يمر من مكران ، منعه ملكها ، فسار بجيش عظيم متضرعاً الى الله العليم . ففتحها وسبى أهلها وقتل ملكها . ثم اكمل طريقه واضماً مكانه اشكس . فلما وصل ساحل البحر . أخذ مؤونة لمدة سنة : فأخرج مع جنوده بعون الله ، بزوارق كبيرة . ورأوا في البحر عجائب كثيرة . وظل البحر هادئاً على غير عادته . وبعد سفر سبعة أشهر في البحر . وصل البر . فرأى بلاداً عامرة وجنات ساحرة . وأطاعه أهل تلك المدن فسلم زمامها الى جيو . ثم قصد قلعة كك دز مكان أفراسياب قاصداً احتلالها وقتل سكانها .

هرب افراسياب خفية بعدما علم بوصول كيخسرو الذي دخل القلعة . فسلمت له . وأقام فيها سنة في بساطتها

الناضرة وحدائقها الزاهرة وعيونها المتفجرة وأزاهيرها المتفتحة . ولما كان الارتحال الى بلاد توران . رجع على نفس الطريق ، متقللاً من البر الى البحر ، ومن البحر الى البر . فوصل قلعة كك بعد نزوله ضيفاً على رستم في ممالك الصين ، وأخذ الكنوز المخبأة في مدينة ابيه سياوخش كرد . ففرقها على قواده وأمرائه وأفراد عسكره . وظل يسأل عن أخبار أفراسياب طالباً من الله تعالى أن ينصره على عدوه . ثم لاه اشتاق الى لقاء كيكائوس فسلم الممالك التي فتحها الى كستهم بن نوذر ورحل عنها الى ايران محملاً بالأنثقال والغنائم من الذهب والجواهر والمسك والعنبر ، والملابس والمفارش والأسلحة والعُدّ وسائر ما يجلب من أرض مكران والصين ، الى غير ذلك من الخيل والجواري والغلمان . فمر بالسغد وبخارى وبلغ والطائقان ومرتو الروز والري وبغداد . وكان في كل مدينة يمر فيها ، تنثر عليه الجواهر والذخائر ، فيقابل أهلها باللاطفة والإحسان والعدل والأمان . ولما وصل الى فارس مقر ملك كيكائوس ، استقبله بالعناق وبإقامة المآدب والمقاصف . فتركوا يشربون وإلى إحسان يستمعون . وهو ما زال على وعده في الانتقام من افراسياب .

أما هذا الأخير ، فإنه لما هرب من القلعة . تاه في البراري والسهول وجاءَ إلى بردعة (من مدن أَرَّان في الشمال الغربي من أذربيجان) واختبأ داخل مغارة في إحدى جبالها . فوجده ناسك متعبد من أولاد افريدون يسمى هوم ، الذي ما أن سمع صوته يبكي ويندب حتى ذهب إليه وكيّله وفي كهفه وضعه . وبينما هما ذات يوم على ساحل البحر ، فكَّ وثاقه بعدما رجاه . فقفز افراسياب في البحر وتوارى عن النظر . واتفق أن جوذر بن كشواذ وولده جيو خرجا خلف الملك كيخسرو - السني ذهب مع جده كيكاوس إلى بيت نار في أذربيجان ، يتضرعان إلى ربهما متخذين النار قبلة - فوصلا إلى ذلك الساحل ، فقصَّ عليها الناسك خبر افراسياب ، فنقلا الخبر بدورهما إلى الملك كيخسرو الذي جاءَ وظلَّ مع الناسك زمناً طويلاً حتى تمكن من افراسياب وهو في البحر . فقيده وأخذه وفي دار ملكه أقره . ثم قتله بعدما حاكمه مع أخيه كرسيز . وهكذا انتقم لدم والده سياوخش . فهناً له المقام ونظَّم الأحوال وحكم بالعدل والإنصاف بعدما عاد إلى فارس .

موت البطلين

قد يكون من الأمر العجب . والاعتزال عن الدنيا وجب . فإنه لما مات كيكاوس وأوصى بكل شيء إلى حفيده كيخسرو . وبدأت الأمور وانتظمت الأحوال . أخذ كيخسرو يفكر في أمور حياته ويوم مماته ، فبعد عن الناس واختل بربه أياماً يصلي ويتعبد . فلما خرج رأى الجمع من حوله في حيرة وسؤال . وهذا يسأل ذاك : « ما حلَّ بملكينا . هل أصابه لوثة ، أم الشيطان على عقله استولى ؟ » . فهدأ من روعهم ، وأسرى عن خاطرهم وأخبرهم أنه ينوي الحضور بين يدي الله تعالى . ثم احتجب مرة ثانية وطال احتجاجه . وزاره الملاك في نومه وأخبره عن قرب موته . فخرج في اليوم الثاني وأخبر أصحابه

فرجعوا إلى تلك العين ، وتناولوا شيئاً كان معهم ، وناموا ساعة . فأمطرت السماء وتغيرَ الهواء . فهطل الثلج وغطى المرج . وظلَّ يهطل حتى هلكوا أجمعين . أما الثلاثة الذين نجوا وعلى الجبل بقوا . فأخذوا ينتظرون لعلهم يرجعون . فلما أدركوا ما أصاب البقية . أخذوا في البكاء والعيويل . وطفق جوذرز يضرب نحسره ويتنف شعره على فقدته كل أولاده . ثم رجعوا إلى هراسب فرضوا بملكه وحكمه ، وأجلسوه على عرشه في يوم المهرجان . فبايعه جميع الأمراء ، ودخلوا في طاعته . واستطاع بعقله وذكائه أن يحكم بالعدل والإنصاف على سير الملوك الذين استلم التاج منهم . وكان له من بنت كيكائوس ابنة كائهما قمران هما كشتاسب وزير .

كان كشتاسب طموحاً وشجاعاً . فلما انتشى مرة من الشراب ، طلب من والده أن يسلمه زمام الحكم . فرفض الوالد لحدائث سن ولده . فما كان من الأخير إلا أن هرب خارجاً عن طاعة أبيه . فتوجه إلى الهند مع بعض من الجند . فالتقه والده بأخيه وزير الذي التقاه في أرض خضراء قرب كابل ، يصطاد الحيوانات . فتحدثا وتناوشا . ورضي كشتاسب بالرجوع مع أخيه إلى حكم أبيه . ولأنه

وأحباءه أنه ينوي اعتزال الحكم والمثول في رحمة الله تعالى . فلطموا وندبوا ولم يصدقوا . لكنه أقنعهم وفي مجلسه جمعهم وأعطى ممالك نيم روز وسائر ما يُضاف إليها ويعدُّ من نواحيها إلى رسم ، وممالك قُص واصبهسان إلى جوذرز ، وممالك خراسان إلى طوس . ونصَّب هراسب على العرش والتاج بدلاً منه . فاحتج بذلك «زال» لوضاعة أصله وعدم معرفة نسبته . لكن كيخسرو أقنعه ، وعن انثناء هراسب لأوشهنج أخبره . فرضوا به ملكاً عليهم ، وحيث بهتجه الملوك ، ونثروا على تاجه الجواهر .

فتح كيخسرو خزائن المال ، وفرقتها على كل فقير ومحتاج . وأمر ببناء ما هدمه افراسياب . ثم ودع أهل بيته وعشيرته ، وخرج مع أكابر إيران إلى جبل فأقاموا عليه أسبوعاً . وخرج في أثره ألوف الرجال والنساء يكون ويضجون ، وإلى العودة إلى عرشه يتضرعون . لكنه طلب منهم العودة . فعاد زال ورسم وجوذرز . أما البقية ، فلم يقبلوا . وساروا معه حتى وصاوا إلى عين ماء . فقام وودعهم وأمرهم بالرجوع لأن الثلج سيبسد الطريق فيصحبون كالغريق . ثم ناموا . ولما طلعت الشمس ، فتشوا عليه قرب العين فلم يجدوه ، وفي الصحاري والجبال لم يلقوه .

رجع على مفض . عساد وهرب وحده متجهاً نحو بلاد الروم . فقطع البحر دافعاً بعض المال لرجل يدعى هيشويه هو وكيل السفن . ونزل بمدينة هي مستقر عرش قيصر ملك الروم . فلما ضاقت به الحال أراد أن يعمل ، لكنه رُفِضَ كاتباً لشكله القوي ، وحارس خيل لأنه أجنبي ، وحداداً لضربته العنيفة . فلما يش خرج إلى ضيعة يستظل بأشجارها ، ويشرب من مائها ، فلاقاه هناك رجل من أهل تلك الضيعة من ذرية افريدون . فاستضافه وفي بيته أقامه .

وكان لقيصر ملك الروم ابنة في سن الزواج تدعى كتيون . وكان من عادة بناته إذا أردن الزواج أن ينتخبن أزواجهن بأنفسهن . فاختارت كتيون كشتاسب زوجاً لها من بين ألوف الرجال لرشاقة قده وجمال وجهه . فتخلى والدها عنها وطردها ، لأنها اختارت زوجاً بعيد الحسب والنسب عن الملوك . فأخذها كشتاسب وعاشا في بيت صديقه ، وكان كل يوم يذهب إلى الصيد ، فيصطاد كثيراً يُعطي منه هيشويه ويفرق الباقي على أهل تلك الضيعة .

أما الابنة الثانية . فقد اشترط قيصر على ميرين أحد أمراء الروم ، وسليل سلم بن افريدون ، وطالب ابنته الثانية ، أن يقتل الذئب الأغبر ، ذا القرن الأكبر ، حتى

يقبل به زوجاً لابنته . فاهتم واغتم ، وفي الكتب راح منجاً . ورأى في كلام القدماء ، أنه يأتي إلى أرض الروم رجل من إيران ، يتزوج ابنة قيصر ويقتل سبعين عظمت أذيتها للناس . فاتصل بكشتاسب زوج الابنة الأولى عن طريق هيشويه . وأعلمه عن حاله وخبر قصده . وطلب منه قتل الذئب الأغبر . فقبل مرحباً وللمهمة مدبراً . ونازل الذئب الأغبر كانه الأسد الأكبر . فقتله بسيف سلم الذي أعطاه إياه ميرين ، وأخذ نابين من أنيابه وأعطاهما لميرين فسر كثيراً ، ومن الهدايا أعطاه وفعراً . فقبلها آخذاً سيف سلم وفرساً شهياً ، واهباً الباقي لهيشويه .

عرف أهرن ، أمير آخر من أمراء الروم ، وطالب الابنة الثالثة لقيصر ، بأمر ميرين . فراسله ، وعن أمر شجاعته المفاجئة سأله . لأن قيصر اشترط عليه أن يقتل الثعبان الضخم في جبل سقيلا ، ويريح الناس شره ليزوجه ابنته . فلما عرف ، اتصل بكشتاسب عن طريق هيشويه . فرحب قابلاً ، وذهب مقاتلاً الثعبان . فضربه بسهم ثم برمح . فخر الثعبان صريعاً ، ينفث اللهب والسم ، ثم أخذ نابين من أنيابه وأعطاهما لميرين وبدوره أعطاهما لقيصر فزوجه ابنته .

في يوم ذهب كشتاسب إلى ميدان الملك مُشاهداً ،
ومن فرط حماسه نزل مقاتلاً . فغلب كل من تقدم
لنازلته . فتعجب قيصر من حاله ، وأرسل في أمره . فلما
حضر ، سأله وجاوبه . وعرف منه أنه زوج كتابون
وقاتل الذئب والثعبان . فأنزله في قصره ، ووهبه من كرمه
حتى أصبح الفارس الأول عند قيصر . ثم أخذ يرسله قائداً
على عسكريه ، فتوجه أول ما توجه لمقاتلة الياس ملك
الخرز الذي تهرب من دفع الخراج . فواجهه في جيش
ضخم حتى قلبه قيصر وولده . وهجم كشتاسب على الياس
بطعنة أذرتة عن فرسه . ومن ثم من بين فرسانه . وركض
به مُسلّماً لياه إلى قيصر . ثم زحف ثانية فزلزل مواقع
عدوه ، وبلد جموعهم ومزقهم كل ممزق .

وأراد قيصر من ملك إيران أداء الأمان ودفع الخراج ،
وبعث إليه برسول يبلغه عن عزمه على القتال في حال عدم
دفع الخراج ، وهدده بفرخ زاد (اسم كشتاسب في بلاد
الروم) الذي سيدوخ دياره وسيملك بلاده . فلما وصل
الرسول ، وطلب المثل ، أدخله واستقبله وعن بطلم
سأله . فأجاب أنه كثرير شهباً خلقاً وشمائلاً . فعرف أنه
كشتاسب ابنه ، وأرسل زدير خلفه . طالباً منه تسليم التاج

والعرش إلى كشتاسب . فلما وصل زدير إلى حضرة ملك الروم .
دخل عنده ، وعن عزم أبيه على الحرب أخبره . فلما عرف
كشتاسب بما نوا ، وعلى الحرب صموا . زار زدير في
معسكره وعرف منه قصد أبيه في تسليمه العرش والتاج .
فصالح والده ، ونزل قيصر وأعوانه في خدمته . أما
كتابون زوجته ، فبالغ والدها في تكريمها وأرسلها إلى
زوجها مع هداياها وجوارها .

استلم كشتاسب ملك أبيه الذي انقطع عن العالم مُتعبداً
إلى الله تعالى . فمات بعد ما أقام في بيت الله مدة ثلاثين
سنة . وعلى سيرة أجداده ، بسط كشتاسب العدل والأمان
والخير والسلام ، وفي عهده ظهر زرادشت ، يدعو إلى
دين جديد ذي حق شهيد . فآمن به كشتاسب وعمل على
تثبيت دينه في كل مملكة . وبني للنار بيوتاً كثيرة ، وجعل
لها قباباً رفيعة . ثم غرس على باب بيت نار بكشمير
شجرة سرو . فعلت واستغلظت وفي السماء ارتفعت . فبنى عليها
قصرأ منيعاً ، جعل سقفه من ذهب ، وأرضه من فضة ،
وترابه من عنبر . ورصع حيطانه بالجواهر واليواقيت
الزواهر . وأمر جميع الملوك والأمراء بالمصير إلى خدمته
هكذا السرو ، وباستماع مواعظ زرادشت ، والدخول في

دينه ، وترك عبادة الأصنام والأوثان . لكن ارجاسب
ملك الصين لم يقبل الدعوة ، وعلى عرشه رفض واستعلى .
وبعث إلى كشتاسب رسالة يعتقه ويوبّخه وعلى دينه الجديد
يؤنّبه ، ويهدده بحاقل العسكر إن لم يرتدع ويرجع .

ردّ كشتاسب على ارجاسب برسالة مُدجّة ، وبلغته
الحرب مصممة . كتبها وزيره العاقل جاماسب ، وشقيقه
زيرير وابنه اسفنديار من بنت قيصر الروم ، فما أن قرأها ملك
الصين حتى هبّ واقفاً والعسكر جامعاً . فألّف جيشاً
عظيماً ، أعطى قيادة جانبه إلى أخويه كهرم واندرمان ،
ورأسه لأمبر يُدعى خشاس ، ولتركي طاعن في السن ،
أففى عمره في الغشم والظلم وتربى في القتل والنهب .

سمع كشتاسب بخبر الجحافل ، فأمر وجمع ، ولنداء
الحرب سمع . وقابل ارجاسب في جمع متلاطم . وبقوا
على القتال ، أسبوعين بدون ارتياح حتى انهزم ارجاسب ،
تاركاً أرض المعركة لجنوده الذين طلبوا الأمان . وكانت
حصيلة المعركة كما تنبأ الوزير جاماسب . فقد قُتل اردشيز
وشيداسب ، ولدا كشتاسب ، وزير وابنه بعدما أبلوا
بلاءً حسناً .

أما اسفنديار فقد صار البطل القهّصار . فسلمه والده

زمام العسكر . ثم توجه ودار في جميع الاقاليم حتى
إقليم الروم والهند واليمن مُبشّراً الدين الجديد ، داعياً إلى
اتباع تعاليم زرادشت . فاستوت له جميع الممالك ، وأطاعته
كل الخلائق . لكن حاله لم تستمر ، وأموره لم تستقر .
فقد جاءه جاماسب بينما كان مع أولاده الأربعة . فأخذه وإلى
والده أوصله ، الذي قيّده وكتبه وبالسلاسل غلّله ، وبقلعة
شيدر وضعه ، بعدما نمي إليه من رجل يُدعى كرزوم بأنه
مُحضّر للاستيلاء على الملك ، وعزّل والده عن الخلق .
ثم رحل كشتاسب إلى زابلستان لزيارة رسم بن دستان .

لما علم ارجاسب برحيل كشتاسب ، وبقاء لهراسب والد
كشتاسب في بلخ يتعبد مع جماعة له من عبدة النار . وجه
إبنة كهرم على رأس ألف فارس من نخب العسكر . فوصلوا
بلخ وأخذوا في القتال ، ناهبين سارقين وكل بيوت النار
مهدمين ، ويُقال إن زرادشت قُتل في هذه الغارة .
فخرج اليهم لهراسب بالرغم من ضعفه وشيخوخته على
رأس ألف رجل استطاع جمعهم من أهل البلد . لكنه مات
برشقة سهم بعد أن أبلى بلاءً حسناً . فبلغ الخبر كشتاسب
بواسطة امرأة استطاعت أن تهرب من برائن ارجاسب .
فحشد واستعدّ ، وسار حتى وصل بلخ وباميان . فاصطدم

الجيشان ودارت الدائرة على الايرانيين وقتل منهم كل أولاد كشتاسب . فرجعوا الى الورا وأحتضوا بجبل كان هناك . فحاصروهم ارجاسب مستعداً للوقعة الثانية . وأرسل كشتاسب ، الوزير جاماسب بعدما اطلع على الفلك الى اسفنديار ، يفك قيده ويحل أسره ، طالباً مساعدته في القضاء على اسفنديار . وهكذا كان . فرجع جاماسب مع اسفنديار بعدما حثه على مساعدة أبيه والانتقام من قاتل إخوانه وسابي أخواته . فوصلوا الى الجبل واخترقوا حصار ارجاسب . فانفتح قلب كشتاسب ، وعرف انه منتصر على ارجاسب .

علم هذا الأخير باختراق جيشه ، وقتل ثلاثه . فصمم على الحرب والاكتفاء بما حصل . لكن رجلاً من أمراء الصين وقوادها يسمى كركسار حثه على البقاء والثأر لقواده العظاء ، الذين قتلهم اسفنديار . فبقى وعلى المعركة نوى . ولما طلعت الشمس رتبَّت الجيوش الى ميامن ومياسر . ثم انقضوا على بعضهم البعض ونزل اسفنديار كالفيل الهائج والبحر المائج بطشاً وسفكاً حتى قبض على كركسار ، فأسره ولأبيه أوصله . ثم رجع بكر ويفر حتى هرب ارجاسب تاركاً جنوده يطلبون الأمان من الملك كشتاسب ، الذي دخل مع اسفنديار الى بيت نار . فاقاما فيه أسبوعاً ، يتعبدان ويشكران

رهبما سبحانه وتعالى على ما أوفره عليهما من تلك النعمة .

قررَّ اسفنديار اللحاق بأرجاسب وقتله في قلعة روثين دز التي هي مكان عزه ، ومستقر عرشه وسلطنته . لذلك استعان بكر كسار ليدله على الطريق . فلما سأله واستأمنه وبإطلاق سراحه وعده . أجابه قائلاً : « للقلعة طرق ثلاث . واحدة طويلة لكنها عامرة وآهلة . وثانية متوسطة لكنها معشوشبة ومياها عذبة . وثالثة قصيرة لكنها قاحلة وناضبة وهي المعروفة بهفتخوان (أي سبعة منازل أو خطوط) . يلقاك في أول منزل ذئبان كأنهما فيلان قوة وشكلاً ، تكاد لضخامة أبدانهما وشراسة منظرهما أن تخز صريعاً . وفي المنزل الثاني يعترضك سبعان كأنهما ناران تلهبان . وفي المنزل الثالث يتصدى لك ثعبان كأنه التنين شكلاً وقوة ، ينفث النار لهباً ويستترل العقاب سهلاً . وفي المنزل الرابع تلقاك ساحرة شمطاء تُريك البر حراً والبحر برأ . وفي المنزل الخامس ينزل اليك طائر يُعرف بالعنقاء كأنه جبل يمر في الهواء . وفي المنزل السادس ، ينزل عليك غضب الطبيعة ، فن البرد القارس الى الحر اللافح ، ومن ثلج الشتاء إلى رمال الصحراء ، وفي المنزل السابع ، ترى القلعة كأنها سراب ، مُحاطة بالأبراج الشاهقة

ناشبة مغالبها في النصول . فضعفت قواها وسقطت . فاستل سيفه ومنزقها . ولما وصلوا إلى المنزل السادس ، داهمتهم الطبيعة . فخرّوا ساجدين ، وتضرعوا إلى الله مبتهلين ، ودعوه دعوة الصادقين . فسكنّ الهواء وانجلت السماء . فلما أشرفوا على القلعة بعد عبورهم بقيادة كركاس ، بحراً لا قعر له ولا ساحل ، قتل اسفنديار كركاس لأن لا مأمّن منه . وققدم سائراً ، مفكراً بالحيلة التي ستجعله يستولي على القلعة . فتنكر بزي تاجر وحمل معه الذهب والجواهر والثياب والحراير . وأحضر مائة وستين صندوقاً . وضع في كل صندوق رجلاً وسوماً بالشجاعة والجرأة بعدده وسلاحه . ودخل القلعة بعدما اتفق مع أخيه على الهجوم إذا رأى الأخير ناراً لاهبة فوق سور القلعة .

تهافت الناس على الشراء من اسفنديار بعدما سمح له ارجاسب بالبيع والشراء . فأهداه اسفنديار الحلى الثمينة والجواهر النفيسة . وسمح له الملك بوضع الصناديق داخل داره . ومن كثرة تردادده على ارجاسب ، أصبح صديقاً له ، وعن أحوال اسفنديار وكشاسب سأل . فشوه أمورهما ، وكفّ لسانه عن سؤالها . وانتهزها اسفنديار فرصة . فدعا الملك وأعوانه إلى وليمة يقيمها على سور القلعة لضيق منزله .

والأسوار العالية ، والمياه والجبال من حولها كأنها جنّة امتنعت على القاصدين » .

صمم اسفنديار على اتباع طريق هفتخوان لأنها أقصر من غيرها . وكان قبل وصوله إلى كل منزل يترك أخاه بشوتن خلفه مع الجنود ، وبعد عناء كل منزل ، كان يرتاح شارباً ويتزل شاكراً ربه تعالى . فلما سار ووصل المنزل الأول ، اعترضه الذئبان كأنهما غمامتان ، فرماهما بسهامه ومنزقها بسيفه شرمزتيق . أما السبعان فشققها بالسيف إلى نصفين من مفروق رأسها إلى زورهما . ومسا أن وصل إلى المنزل الثالث ، حتى أمر النجارين بصنع عجلة بفرسين ركبوا في أطرافها نصولاً محددة ، ووضعوا عليها صندوقاً كبيراً ، اختبأ في داخله ونزل من رأس الجبل إلى السهل فبلعه الثعبان ثم لفظه بعدما نشبت النصول المركبة في حنكه وفكه . فخرج من الصندوق ساللاً سيفه ، شاقاً دماغه ، فمات بعد أن نفث السم زعافاً .

أما الساحرة فقد تبدّت له بصورة باهرة . فلما جالسها وسقاها ، خنقها بسلسلة ، استحاتت بعدها إلى سبع ثم إلى عجوز شمطاء . فوضع سيفه برأسها وقتلها . ولما وصل المنزل الخامس رآته العنقاء على عجلته . فترلت من السماء ،

والمالك والخزائن تحت حكمك وشور بنائك . لكنه لم يرتدع ، وعن الأمر لم يرتجع . وتلاسن - ووالده رافضاً أن يسير الى زابلستان لتأديب رسم بن دستان، وحثه على دفع الجزية والحراج .

لكنه عاد وسار بدون اختيار ، خصوصاً بعدما وعده والده بالتاج والعرش إذا أدب رسم . فلما وصل الى هيرمند خيم هناك وأرسل رسالة مع ولده بهمن الى رسم . يذكره بالعهود السابقة والأيام التالية ، يوم كان يخدم عند الملوك فارساً ، يحثه على دفع الجزية والانظام في دفع الحراج للملك كشتاسب ، ملك الممالك في المشرق والمغرب . فلما وصل ، استقبله «زال» وأخذه الى ولده رسم المخيم على حافة نهر . فلما وصلا ، أنزله رسم واستضافه ومن طعامه استزاده . فتعجب بهمن من كثرة أكله ، وعن ضخامته وقوة شكله لم يعد يسأل . ثم شيعه رسم راجعاً الى أسفنديار . مُعطياً إياه رسالة ، متمنياً فيها مشاهدته وخدمته، عاتباً على مخاطبته بهذا الكلام ، طالباً استضافته ومن ثم التوجه معه الى حضرة كشتاسب ، والمثول في حضرته للاعتذار من صاحب الجلالة والوقار .

التقى البطلان على حافة النهر . وواعد اسفنديار تلبية

فرحبوا وعلى العشاء نزلوا . فشربوا وثلوا ثم انصرفوا . فقام اسفنديار وأشعل النار فوق سور القلعة . فما أن رآها بشوتن حتى هجم بعسكره . فخرج جنود ارجاسب وأهل القلعة يصدون الهجوم ويدافعون عن الحصون، فما استطاعوا . ولما أرادوا الرجوع الى داخل القلعة كان اسفنديار قد أوكل رجاله الذين في الصناديق أمر حماية الأبواب . وذهب مع فئة منهم الى باب ارجاسب فنأزله وضاربه ثم قتله واجتزأ رأسه ورماه الى جنوده . فقروا هاربين وعن قوة عدوهم متكلمين .

أما كُهرم واندريمان شقيقا ارجاسب اللذان أسرها فقد صلبها على باب القلعة ونزل هو وجنوده قتلاً ونهباً وأسراً في أطراف توران ، ورجع الى والده في إيران عن طريق هفتخوان ، مُحتملاً بما خفَّ حمله وغلا ثمنه بعدما فرق ووزع على العسكر حتى أغناهم وزادهم في ذلك على مناهم . وبهذا يكون اسفنديار قد ثار لجده لُهراسب وإخوته من أبيه كشتاسب .

شكا اسفنديار ظلم أبيه الى أمه . وأخبرها بحديث والده بتسليمه العرش والتاج يوم الثار للهراسب . لكنها نهته وعن التفكير بالأمر ردعته قائلة : « ما لك بالعرش والتاج ،

دعوة رسم ، الذي جهز السَّاط بأفخر الأطعمة والشراب . لكنه تأخر عن المجيء فقصده رسم . فطفق يعتذر محتجاً بالحر الشديد والطريق البعيد . ثم جلسا يتسامران وعن النسب والبطولة يتنافسان . فطلب اسفنديار من رسم التزول عند رغبة الملك وأخذهُ مُقْبِداً إليه ، واعداً إياه بعدم مسه أو لمسه ، حتى يتسنى له الحصول على التساج والجلوس على عرش العاج . لكن رسم أبى وعلى الحرب نوى . وخرج غاضباً وإلى مكانه راجعاً . ثم أخذ يحضر جيشه ويجهز نفسه . ولما حانت الساعة . تقدم البطلان بعدما أمرا جنودهما بالوقوف على جنب والإمساك عن الحرب . وتبارزا بالرماح والسيوف ومن ثم بالعمد والدبابيس . وظلا على سجال حتى تشقت الدروع وتمزقت السروج . واستطاع اسفنديار بنشابة من الماس أن يصيب رسم ورخشه عدة جروح ، خصوصاً بعدمسا اعتدى جنود رسم على جنود اسفنديار وقتلوا ولديه . وبجيلة استطاع رسم أن يأمن جانب اسفنديار ، ويرجع إلى مقره ومركز عسكريه . ففلقاه زال (دستان) ورأى النصال . فأخذ ريشة العنقاء ، وحرقها للحال . فحضرت ، وجراح رسم ورخشه طببت . ونصحته بطلب السلام ووقف الحرب . لكن اسفنديار رفض ، وعلى المبارزة ركض . فما كان من رسم إلا أن رماه بالنصل

الذي ركبته على قضيب شجرة أعطته له العنقاء . فأصابه في عينه . وأوقعه من على فرسه . وأخذ يحتضر نادماً على تسرعه واضعاً اللوم على والده ، مُعْطِياً بهمن ولده إلى رسم لتربيته تربية جديرة بالملوك . ثم شق شهقه شهقة طويلة ومات .

أُرْسِلَ الْجَيْشَان إِلَى مَمْلَكَةِ إِيرَانَ عَلَى ظُهُور الْجَمَال . فاستقبل بالعويل ورش الرياحين . ودخل بشوتن على كشتاسب دون أن يسجد ويقبل الأرض وقال له : « الآن انقصم ظهرك ووهى أمرك ، وستجد جزاء فعلك ، وتذوق وبال ظلمك حين أسلمت ولدك للموت متمسكاً بهذا التاج والعرش » . ثم لعن جاماسب ووجّهه على عقله ومشورته وسفاهة رأيه .

صار بهمن كالملوك في الآداب وحسن السلوك ، وطلب منه جده أن يرجع هو ورسم الذي ساعه بعدمسا عرف بتضرعاته في طلب السلام من اسفنديار قبل المات . فرجع ملكاً وسدّة العرش مسلماً . وكان جده من شدة حبه لسه ، لا يفارقه ولا يصبر عنه ساعة ، ولا يطيق البعد عنه لحظة . ولما كان لا بد من المنون ، ولو ساورتنا الظنون . ولكل شخص نهاية ، كما له بداية . فإن رسم وإن عاش

طويلاً ، فإن له في الملمات سيلاً . وكيف شاءت الظروف أن يقتل على يد أخيه شغاذ (من والده زال بن سام) الذي تربي وحيداً عند ملك كابل بعيداً . فإنه لما وُلِدَ ، اطلع والده على سر الفلك . فعرف المقدّر والمصير الذي لا يتغير . فأرسله عند ملك كابل ليربيه وعلى حسن السلوك يمضيه . فلما نشأ وترعرع ، ورأى منه ملك كابل أمارات الأبوة والجلال . صاهره ومن ابنته زوجة . ولما رأى أن رسم لا يحفل له وكالغريب يعامله . انفق مع عمه والبد زوجته أن ينقطع عن دفع المال للإيقاع بابن زال . ورسم معه خطة تقضي بأن يشتم أخاه في وجهه وعلى مسمع من صحبه . فينهض هو مؤنباً ومساعدة رسم طالباً . وهكذا كان . فلما وصل رسم ديار كابل ، استقبله ملكها طالباً السماح ، حانياً رأسه كالتمساح . ثم أخذه إلى أرض شاسعة ، للصيد سانحة . فلما ساروا ، وقع رسم ورخشه ومن كان معه في حفرة مليئة بالنصال والحراب . فتمزق جلده ، وتشقق رخشه . وعرف أنها مكيدة من أخيه وملك كابل . فطلب قوسه ونشابه ليدود عن نفسه السباع قبل أن تطلع روحه . فأعطاه شغاذ ما طلب . فما كان منه إلا أن شدّ قوسه ضارباً شغاذ ، الذي احتفى وراء شجرة جافة ، فنفذ القوس فيها وخاطه معها .

فطلعت روحه قبل روح أخويه رسم وزواره . عرف فرامرز بن رسم بمصير أبيه . فذهب إلى كابل بجيش كثيف . وأخاط جراح عمه وأبيه ورخشه . ووضع رسم في تابوت عظيم وضع على سرير من الذهب . وأقيمت عليه المآتم في زابل ، حتى لا تكاد تسمع غير صوت النائحات والنادبات . ثم هجم فرامرز من زابل على كابل . فأسر ملكها وأربعين نفساً من أقاربه . ثم ذهب إلى الموضع الذي قُتِل فيه رسم . فعلقه من جلد ظهره على نصل من أنصال تلك الحفر . وحرق أقاربه وشغاذ ، ونزل قتلاً وذبحاً في أهل كابل . أما والده رسم روزابه فقد شقت عليه الثياب وأمسكت عن الطعام والشراب . وحاولت الانتحار . لكنها عادت وأقلعت ، وبأمر ربها رضىت .

الأسر والنهب في جميع نواحي زابل . فلما جاء فرامرز (ابن رستم) لينجد جده ويخلص ملكه . التطم الجيشان كأنهما أسدان . ثم هبت ريح عاصفة أذرت الرمال في وجوه عسكر فرامرز . فولّوا الأدبار تخلصاً من الغبار . وبقي فرامرز وحده حتى أسير وصلب ومات رشقاً بالسهم . ثم أوقف بهمن أيدي جنوده في أرض زابل بعد تشفع بشوتن ، وأطلق سراح دستان بعدما ندم على سوء فعله وسرعة غضبه . ثم قفل راجعاً إلى إيران . يأمر وينهى ، ويمنع ويبي . ومن آثاره قرية باقية تُعرف بهمينيا .

ثم إنه ولّى ابنته هُمّاي الملقبة جهرآزاد ، لما حبلت منه وعن وليده بشرته . أمّا ولده ساسان فهرب إلى نيسابور وتزوج هناك كاتماً نسبه ، حافظاً سره . ورزق ولداً سماه ساسان أيضاً . ثم صار فقيراً يرعى بين تلك الجبال والشعاب فيقال ذو جد الساسانية .

استلمت هُمّاي العرش والتاج بعد بهمن الذي حكم ستين سنة . فلما جاءها المخاض . ولدت صبياً قالت إنه مات . واهتمت بأمور ملكها ، وأحوال رعيتها . فاست بالعدل والإحسان والراقة والأمان . ولما بلغ وليدها ثمانية أشهر وضعت في علبة مملوءة بالجواهر وشدت على عضده جوهرة

الملوك الأربعة

مات كشتاسب بعدما حكم مائة وعشرين سنة . فسلم الحكم قبل مماته إلى حفيده بهمن . جاعلاً له عمه حافظ سره ومشير أمره .

فلما استلم ، وعلى العرش حكم . جمع القواد والأمراء طالباً منهم الموافقة على الثار من قاتل أبيه ، متخذاً ثأراً الأبناء للآباء حجة له . فتشاوروا ثم وافقوا . فخرج بجيش عظيم نحو بلاد زابل . فلما وصل ، لقيه دستان طالباً الأمان والشروع في السلام ، مذكراً لياه بفضائل أولاد زال على ممالك إيران . لكنه ازداد حقداً وتصرف غضباً . فقصد الشيخ الجليل ووضعه في سجن ظليل . وهجم على قصوره سارقاً من كنوزه . ثم أطلق أيدي أصحابه في

عضده . ثم انتقلوا إلى قتال جيش الروم . فانقضَّ داراب كالصقر الباسل والليث الكاسر . وقتل منهم خلقاً كثيراً حتى اضطر ملك الروم إلى طلب السباح ، والتزام دفع الخراج . فبعث رشتواذ رسالة إلى هُمَاي يشترها بالانتصار ، ويخبرها بأحوال داراب مرسللاً الجوهرة المذكورة التي وصلته بعد حضور القصر وزوجته . فلما رأتها ، عرفت الحقيقة . وعلمت أن ذلك الشاب الذي أخذ بقلبها يوم العرض لم يكن إلا ولدها . فقرحت كثيراً بعدما انتظرت طويلاً . وحمدت الله تعالى وشكرته . وفرقت الكنوز على الفقراء والمساكين . ولما وصل ابنها . استقبلته بوعاء مملوء بالياقوت والزبرجد ونثرتهما عليه . ثم أجلسته على عرش من الذهب مُحَلَّى بالجواهر والقصب . وأعطته التاج ، واعترفت بالإساءة إليه . لكنه ساعها وعن إيذاء نفسها أرجعها . ثم نصبته ملكاً بعدما قصت قصتها على الأمراء وجميع الأكابر .

جَلَسَ داراب على عرش السلطنة متمتعاً بمظاهر الأبهة . فأطاعه جميع الملوك ، وقدموا إليه الخراج حتى من الهند والروم وغيرها . ثم أمر بشق نهر من بحيرة واقعة تحت جبل عظيم كان يزوره . وبني على ذلك النهر مدينة سماها

لها قيمة . ثم أمرت ، فألقي في الفرات ، حتى وجدته قصاراً كان يغسل الثياب على حافة النهر . فأخذه فرحاً ، وعن حزنه على ولده الميت جعله مرحاً . وانتقل مع زوجته ولقيطه إلى بلدة ثانية بعدما أسماه داراب لأنه وجدته في الماء (درآب تعني في الماء) . فنشأ وترعرع وعن مزاولة مهنة أبيه تمنع ، فتعلم الدين والأدب والفروسية ، وفاق أقرانه بوصاية الغزة الإلهية . ودخل في عسكر رشتواذ قائد الملكة هُمَاي ، بعدما عرف كيف وجِد من والدته التي أخذ منها بعض الدراهم . فاشترى بشئها فرساً وعدة رثة رخيصة .

ارتحل رشتواذ لمحاربة الروم بعدما استعرضت هُمَاي العسكر . فلفت انتباهها منظر داراب وانتقدته على الثياب التي كان يلبسها لأنها لا تليق بفارس مثله . فلما وصلوا أرض الروم . أظلمت السماء وأمطرت . فاخْتَبَأ داراب في بيت خراب يكاد يقع . وسمع رشتواذ هاتفاً يأمر البيت الخراب بعدم الانقضاء لأن تحته ملكاً كبيراً ، فتعجب من ذلك واستدعى داراب الذي ما ان خرج حتى وقع البيت على الأرض . أخبر داراب رشتواذ عن أصله ومولده . فأمر بإحضار القصر وزوجته والجوهرة التي كانت على

منهم تحت راية قائد أصيل وأمير كبير . فأطاعته جميع الأمم من روم وعجم .

في ذلك الوقت توفي قيقلوس ملك الروم . فجلس الاسكندر مكان جده ، وأخذ الحكمة من فلاسفته . فحكم بالمعروف حتى يُذكر ، وصرف شعبه عن الفحشاء والأمر المنكر . ولما جاءه رسول دارا لأخذ الخراج ، صرفه ، وإلى ملكه أرجعه . ثم جمع جيوشه وتوجه إلى إيران عن طريق مصر . فنزل فيها وقاتل ملكها . وانتصر عليه وانضم كل أهل مصر إليه . ثم رحل وخيم على حافة الفرات . وعلى الحافة الثانية . كان دارا وجنوده الذين خرجوا من اصطخر لمحاربة الاسكندر .

تأهب الجيشان لبدء القتال . فزار الاسكندر دارا متكرراً بزي رسول ، طالباً من ملك إيران السماح للـ روم بالتجوال في بلاده ، وقصده الوقوف على قوة عدوه وأحوال جيشه . لكن دارا استشهه ومن عامل خراجـه عرفه ، بعدما أكرمه واستضافه . فلما لحق به كان الاسكندر قد هرب . فقطع الفرات . وبدأوا القتال . وظلوا على تلك الحال حتى غلب الاسكندر وهزم دارا الذي فرّ وجمع جيشاً كبيراً لمواصلة القتال . فلاقاه الاسكندر وغلبه

داراب كرد . وبني فيها بيت نار ، وأسكنها أصحاب الحرف والصناعات . ثم إنه قاتل رجلاً من العرب خرج إليه بمائة ألف فارس . فنازله وقتله . وأطاعه سائر ملوك العرب . ثم سار إلى بلاد الروم . فنهض إليه من عمورية ملك الروم قيقلوس مع أركان دولته وأكابر حضرته ، بجيش عظيم . فتلاقوا في وقتين كان النصر فيها للإيرانيين الذين قبلوا السلام بعدما اتفق داراب مع ملك الروم على تزويجه ابنته ناهيد . فأرسلها والدها بعدما جهزها بأنفس الجواهر وأطيب الأزاهر .

وفي يوم كانت مضطجعة مع زوجها . فتنفست ، فشم من نكهتها رائحة كريهة . فنفرت نفسه منها وابتعد عنها ، وإلى والدها أرجعها بعدما جلب لها الأطباء . فداووها ، ومن الرائحة المزعجة شفوها . ولما جاءت إلى أبيها حاملاً . ولدت صبياً أسمته الاسكندر تيمناً بالدواء الذي شفاهـا . فنسبه جده إلى اسمه ، وجعله ولي عهده ، معلناً انه ابنه .

توفي داراب بعد حكم دام اثني عشرة سنة . وأعطى الحكم قبل مماته إلى ولده دارا ، الذي ما أن استلم وعلى العرش حكم ، حتى تجبرّ وعن حكم والده تغير . ففرق أرزاقه على العسكر ، ووضعهم في طوائف ، كل طائفة

في ناووس مزين كألوان الطاووس ، ووضعته على سرير
ممن ذهب موشى بالديباج والقصب . ثم أمر بنصب
جذعين عند الناووس وصلب اللذين غدرا به حين . وأمر
برجمهما ، فَرَجِمَا إلى أن ماتا عبدة لمن نظر ، وموعظة
لمن اعتبر .

مرة ثانية وثالثة . فهرب إلى جهرم ، ومن ثم إلى كرمان
تاركاً اصطخر ، مقر ملكه ومستقر عرشه بيد الاسكندر .
وفي كرمان اجتمع دارا بأعوانه ووزرائه فأشاروا عليه بطلب
الأمان ولأَم الجراح . فكتب إلى الاسكندر كتاباً مشحوناً
بالخضوع والاستسلام وطلب السلام . فجاوبه الاسكندر
بالملاطفة وعدم المعاتبة مُرجعاً إياه ملكاً على ما كان ،
مُنْفِذاً كما كان في الزمان . لكنه غير رأيه وبدل فكره
وقال : « أصعب من القتل عندي ، أن أشدّ في خدمة
الرومي وسطي » . فراسل ملك الهند «فور» يطلب المؤازرة
وسرعة المساعدة . فهاجمه الاسكندر في كرمان بعد رفضه
السلام ، وانتصر عليه . ففرّ وقتل على الطريق بواسطة
اثنين من أخلص رجاله . طمَعاً برفع قدرهما ، وإشاعة
ذكرهما ، وتوليتهما بعض الأقاليم ، بعد اتصالها بالاسكندر
وإخباره عن مقتل دارا . فلحقه الاسكندر قبل أن يموت ؛
فحاسنه ولاطفه ومن حقه أنقذه . فوصّاه بمالك إيران
والأهل والأولاد . وسأله أن يتزوج ابنته روشنك . لعله
يرزق ولداً ، يحدد اسم اسفنديار ، ويزين بلدين زرادشت
الديار . ويحافظ على خدمة النيران وإقامة مراسم النوروز
والمهرجان . حتى لا تُمتحى آثار كشتاسب ، ولا يزول
رسم لهراسب . فوعده الاسكندر بتنفيذ وصيته . ثم دفنه

أما البنت فقد بُهرَ بِجمالها وحسنها ودلالها . والجام
جربته وشدة ما أعجبه . فقد جلس مع ندمائه يشربون
منه ويستريدون . فلم يفرغ ولم ينضب . فلما استوضح عنه،
أجيبَ بأنه يجذب بخاصيته الماء من الفلك ، ويستدره من
الهواء بحيث لا تدركه حاسة نظر الانسان . أما الطبيب
فقد فحصه وبأدويته أقرعه . فركَّب له دواءً يعافيه ومن
كل الأمراض يشفيه . ونصحته بالاعتدال في الطعام ،
وبتخفيف النوم مع النساء للمحافظة على دوام الشباب ،
وحسن الإنجاب . أما الحكيم فمن صنائعه أدرك أنه عليم . فقد
أمر بجام مملوء بالسم والإبر، ذوبها حتى صارا بيضة حديد،
فصقلها لتبدو مرآة من حديد ، ثم أعطاهما الى الاسكندر
الذي دفنها ، ونحت الأرض خبأها . فنذيت وصدت .
ثم أخذها من حديد ، وصقلها بحيث صار جوهرها كالبلط
الصنديد، لا يصداً ولا بهراً . فلما سأله الاسكندر عن المعنى أجابه
قائلاً : « السم يتغلغل في الدم كما تفعل الإبر في اللحم .
وبيضة الحديد كقلبك الشديد . لا يدرك المعاني الدقيقة
والرموز الخفية لكثرة ما أصابه من خطوب ووقائع . أما
المرأة وردك إياها صدئة ، فهي إشارة الى أن قلبك كان
كالمرأة ، لكنه صدىء من كثرة إراقة الدماء . وأنا بصفتي
إياها ثانية ، إنما أشير الى مساعدتك وتنقية قلبك » .

الاسكندر

أصبح ملك الروم ملكاً على إيران وتوابعها . فعامل
بالإحسان ، وأشاع الأمن والأمان . وأعفى الجميع عن
خراج خمس سنين . ثم نفَّذَ وصية دارا وتزوج روشك
بعد موافقة والدتها . وذهبت أمه ناهيد من عمورية الى
إيران لإحضار ذات الجمال والأبهة والدلال . فتزوجها وأخذ
يبنى الديار المهدمة . فبنى هراة ومرو وسمرقند .

ثم إنه عزم على قصد ملك من ملوك الهند يسمى كيدا .
فلما قصده راسله وطلبه . فأجابه بتقديم بنته ، وثلاث
عجائب من عنده . فأرسل الاسكندر رُسله لاستيضاح
مسا وصله . فجاءوه بالجواب اليقين . ثم أرسل يطلب
البنت مع الجام والطبيب والحكيم .

فاستحسن الاسكندر قوله ، وقبل الهدايا وأعفى الكيدا من الخراج . ثم ترك ميلاّب وتوجه إلى قنوج وعليها ملك يعرف بفور . فأمره بالطاعة بدون مشاورة . فبعث فور اليه كتاباً يؤثبه ، وعلى سفاهة رسالته يوبّخه . فما كان من الاسكندر إلا أن جمع جيشاً عظيماً من الروم والمصريين واسياد ايران وتوجه لمحاربته في طريق وعرة المسالك أثارت حفيظة جنوده . فنهزم ورجعهم وعن غيبتهم أرجعهم . ففشوا معه خاضعين وإلى قنوج متوجهين . فلما وصلوا وتلاقوا ، أشار حكماء وفلاسفة الاسكندر عليه بأن يصنع صور خيل من حديد . محشوة بالنفط ، إذا اقتربت منها خراطيم فيلة فور ، أشعلوا النفط فيها فتهرب . وهكذا كان . ثم تقابل الفريقان ودعا الاسكندر فور لمبارزته حسماً لإراقة الدماء وزهق الأرواح . فتبارزا وتصاولا وكاد فور أن ينتصر لو لم يلتفت إلى الوراء . فعاجله الاسكندر بضربة أنزلته قتيلاً . ثم ولّى شورك أحد قواده ، ممالك الهند بعدما أحسن معاملة العسكر راداً اليهم سلاحهم . وأكمل طريقه إلى بيت الله الحرام متوقفاً في القادسية .

بلغ خبر وصول الاسكندر إلى نصر بن قتيب . وكان ممن يتزين به الحرم . فقام اليه راكباً ، ومع الفرسان

مستقبلاً . فلاقاهم الاسكندر بالتعظيم والتبجيل . ولما سألته عن حاكم مدينته ، أجاب بأنه خزاعة الذي ملك الديار بعد القتل والدمار ، وأن الحكم يجب أن يكون لآل اسماعيل الذي هو منهم . فقام اليه الاسكندر ، وانترع الملك من بين يديه وقرره في ذريسة اسماعيل . ثم طاف حول الكعبة ، واهباً أمواله مهدياً أرزاقه .

ومن الكعبة إلى جدة ثم إلى مصر بطريق البحر . فاستقبله ملكها قيطون ، وعن ذكر قيذاة ملكة الأندلس أخذوا يتحدثون ، التي أرسلت مصورها لرسم الاسكندر في جميع أحواله وفي حله وترحاله . فلما طالبها بدفع الخراج ، ماطلت وامتنعت . فسار إليها بجيشه ، فوصل إلى مدينة من مدنها ، فحاربها وافتتحها ، ووضع شهر كبير حاكماً عليها ، فأسر ابن قيذاة قيذروش الذي جاء للزواج من ابنة حاكم تلك المدينة . فلما عرف الاسكندر بذلك ، طلب من وزيره يبطقون ، أن يأخذ دوره ويجلس مكانه على انه الاسكندر . وإذا مثّل قيذروش أمامه ، تشفع هو له ، وإلى والدته أرسله .

سار الاسكندر مع قيذروش على أنه يبطقون ، إلى قيذاة ملكة الأندلس . فلما وصل وفي قصرها الرائع مثّل .

شكرته ووهبته وعرفته من الرسوم التي عندها بعدما أطلعها على رسالة الاسكندر في دفع المقدّر . فلما أخبرته أنها عرفته، ندم على وضع نفسه بين أشدّاق الثعبان . لكنها طمأنته وعن أمر ابنها طينوش نصحتّه . فلما حضر الجميع وأخبرهم بيطقون برسالة الاسكندر . وقف طينوش كالللدوغ . فطرده والدته بعدما أنبته . ثم ردتّه بناء على نصيحة الاسكندر الذي وعده بتسليمه الاسكندر يداً بيد . فاستحسن كلامه وقام معه . فساروا إلى المعسكر الذي في أنحائه الاسكندر . فلما وصلوا ، تقدمه بيطقون لإبلاغ الاسكندر الذي رجع مع فرسانه لمحاصرة طينوش . فلما حاصروه وعلى حقيقة الاسكندر أنظروه . فزع واقفاً وعلى حياته خائفاً . لكن الإسكندر طمأنه وفي مجلسه أجلسه . فأكلوا وشربوا وبهدايا قيافة الثمينة تنعموا ، التي استحسنّت دفع الخراج بعد التشاور والتداول .

ارتحل الاسكندر من الأندلس مُتغياً ، وبين كل أقطار العالم متغياً . فوصل الى مدينة البراهمة . فدخلها بعدما راسل أهلها . وهم قوم حفاة عُرّة ، ليس عندهم سوى الصبر والعلم . يعيشون على أكل الحشيش وعلى النبات الحشيش فحاورهم بأمور الحياة وسر المات . وعرض عليهم

هدايا . فما قبلوها بل رفضوها . ثم ارتحل ، وإلى بحر غريب وصل . كانت أسماكه وحيواناته طعاماً لرجال متقنين كالنساء لا يعرفون العربية ولا الفهلوية . ولما أراد الركوب الى جبل في وسط البحر ، منعه فلاسفته . فأرسل جنده في زورق صغير ، مما أن وصل ، حتى ابتلعه الجبل . فكان حوتاً عظيماً كالجبل حجاً وشكلاً

ومن مياه ذلك البحر . انتقل الى مياه سامة في غدير عظيم . فعبها إلى ساحل بحر آخر ، ظهرت من جوانب يابسته خنازير وأفاعي وعقارب وسباع . فتقاتلوا واقتتلوا حتى انتقلوا الى أرض الجبسة . فأنزلوا غربانها بالرماح بعدما تصادموها كالرياح . ولما جنّ الليل ، قتلوا كركدنًا بالسهم ، كأنه من القبيلة العظام . ثم ارتحلوا والى أرض عرّة وصلوا . فلما رأوا الاسكندر ، قاتلوه بالحجارة . فواقمهم أصحاب الاسكندر وقتلهم حتى لم يبقَ منهم إلا القليل .

ومن هناك انتقل لقتال ثعبان على قمة جبل ، كان يأكل كل يوم خمسة ثيران . فأمر الاسكندر بمنلهما محشوة سمًا ونقطًا . فلما التهمها ، احترق بلهبها . فانطلق وتشتق وقُطِعَ بالسيوف .

وحيداً . فحاوروه بكلام الحكماء وبلسان العقلاء . ودعوه للصعود وحيداً لرؤية إسرائفيل عليه السلام . فلما رآه صاح به داعياً إياه إلى المسير وبطريقه يكون التيسير . فلما رجعوا هتف هاتف من الجبل الأسود الذي كان هناك وقال : « مَنْ يحمل من حجارة هذا المكان يندم ، ومن لا يحمل منها فهو أيضاً يندم . » فحمل منها بعضهم وأعرض عنها بعضهم . فلما خرجوا من تلك الظلمات رأوا تلك الحجارة جواهر ويواقيت . فندم من حمل حيث لم يستكثر . وندم من لم يحمل ، حيث لم يحمل كثيراً . أما الخضر فوصل إلى عين الحياة فشرب واغتسل وفاز بالمطلوب .

ومن الظلمات إلى مدينة في المشرق وصلها مكرماً ، وعن عجائب أهلها سائلاً ، فقالوا له : « هم قوم أقزام أفعالهم كالضربغام . لهم أوصاف الحيوان وخصائص الإنسان . يأكلون حيوان البحر ونبات الأرض فلا يشبعون . فإذا خلصتنا من ياجوج وماجوج الذين هم وراء الجبل ، كنا لك من الشاكرين ، وبسيرتك نظل ذاكرين » . فأمر بسد عظيم يفصل الجبل عن المدينة ، حائطه من النحاس والبرصاص والجص والخطب والحجارة المتينة . بُني على شكل طبقات تخللها الكبريت والفحم . فلما انتهوا ، نفخوا فيه . فارتفع

ومن قمة ذلك الجبل إلى رأس جبل آخر . حيث صعد لرؤية شيخ ميت على سرير من ذهب مسجى على ديباج ، على رأسه تاج مرصع بالجواهر . فلما اقترب سمع هاتفاً يقول : « أيها الملك ! قد جهدت زماناً طويلاً ، وأفנית من الملوك كثيراً . وقد دنا وقتك وحن موتك » . فعظم عليه ذلك واصفر لونه .

ومن الجبل إلى هروم ، حيث راسل سكانها النبات بأشكالهن العجيبات . حيث لم يُخلق للواحدة منهن إلا ثدي واحد هو الأيمن فحسب . وهن في الأيسر كالرجال . فسمحن له بالمشاهدة والمرور توثيقاً للشروع . فذهب متفرجاً بعد أن قطع مدينة فيها أناس سود الوجوه ، هُدل الشفاه . تتوحد النار من أحداقهم وتخرج من أفواههم . فاستقبلوه وبفيلهم خدموه .

ومن مدينة النبات إلى أرض الجنات . حيث تغرب الشمس في عين ماء كبيرة . من شرب من مائها خلدَ ولم يمت . فانتفى للمهمة صاحب الأئمة الخضر . فساروا وراءه فريقين على ظهور المهر . وتوغلوا في طريق الظلمات . ففضل من كان مع الاسكندر حيث أفضت بهم الطريق إلى جبل شاهق تسكنه الطيور البواسق . وتقدم الاسكندر

الدخان في السماء . وتمكنت النار فيه حتى انتهى وعلى الأرض هوى . فتخلصوا من شر ياجوج وماجوج بعدما حرقوا وهلكوا .

ومن تلك المدينة إلى مدينة أخرى ، وصلها بعد مسيرة شهر . وصعد إلى جبل لازوردي ، عليه بيت مغلف بالجواهر وبأحسن الذخائر . فلما دخله ليرى عجائبه حذر وأندر وعن قلعة عدد أيامه في الدنيا أخبر . فخاف وارتعد . ثم ارتحل إلى عجيبة أخرى في مدينة صفرى . فلما دخلها أخبروه عن شجرة يتكلم نصفها بالنهار بصوت ذكر ، ونصفها الثاني بالليل بصوت أنثى . فقصدوها مع الترجمان . فأخبرته الأنثى كما أخبره الذكر عن كثرة تجواله وقلة أيامه . فانصرف ذاهلاً ونحو الصبين ذاهباً . فلما اقترب منها ، كاتب ملكها بعبور وزاره كعادته مُتكرراً بزي رسول . فأبلغه رسالة الاسكندر ، مهدداً بجحافل العسكر . فقبل بعبور الشروط وأرسله محملاً بالنقوط . فأقام شهراً ثم رحل إلى بلاد السند . فقاتل ملكها بنداه وكسره . وسار إلى نيم روز ثم إلى اليمن . وقبّل الوصول إلى بابل على ساحل بحر مقابل . خدمه جماعة من لحافي الاذن . (بستر كوش) طعامهم السمك وأبنتهم من عظام السمك . ومن الساحل

توجه إلى بابل . حيث قرب أجله وقلت أيامه فخاف على الروم من بعده أن يقتلوا على أيدي الإيرانيين . فأراد قتلهم والانهاء من أمرهم . فأشار عليه ارسطاطاليس بعدم التقتيل لأنه يورث العداوة ، ويحصد الحسرة والندامة ، وقال له : « قسم بلادك إلى ممالك : وأعط كل ملك ملكه ، على شرط أن لا يطاول حده . آنذاك تشغلهم ، وعن أمور القتال تصرفهم » . ففعل بما أشار . وكانت ملوك الطوائف .

ثم إنه وصل بابل ليلة مولد أعجب الخلائق . له أوصاف الحيوان وبعض الانسان . فتطير منه ، وفلاسته سأل عنه . فأخبروه كما هتف الهاتف وتكلمت الشجرة . فاهتم واغتم ومرض وكتب رسالة إلى والدته يخبرها فيها بدنو أجله وقرب ساعته . طالباً الحفاظ على اسم الاسكندر وفي كل أعماله وأقواله يذكر . وأوصاها بزوجته وروشتك وابنة ملك الهند كيد . وذكرها بعدم البكاء والتمثل بسير العطاء . وأمرها بتفريق رزقه على المساكين وأمواله على المحتاجين داعياً إياها إلى التصبر واتباع أوامر الله . ثم مات بعد أن خدّمه العسكر . فدُفِنَ كما طلب بتابوت مملوء بالعسل ، بعد أن غُسلَ بالماورد . وغُمِرَ

بالكافور ودفنوه في تراب الاسكندرية ، المدينة التي بناها بعدما ودّعه أرسطاطاليس ، وانتجت عليه أمه . ومضى الى مضاجعة التراب وهو في عز الشباب . وانتهى عهده كبرق ومض وطرف غمض بعدما حكم أربع عشرة سنة .

الساسانيون

« يذكر القساريء في موضع مر ذكره أن ابن بهمن وشقيق هاي كان يُدعى ساسان وقد هرب إلى خسارج البلاد وتزوج كاتماً سره ونسبه ورزق ولداً سماً ساسان الذي سمى أولاد أولاده أيضاً ساسان» .

أما ساسان المنتسب إلى بهمن بن اسفنديار ، فقد جاء إلى اصطخر ليرعى الإبل عند حاكمها بابك الذي استدعاه يوماً بعدما رأى في منامه حُلماً فُسرَ له بأن ساسان أو من يتفرع عنه سيحكم إيران . فلما أدخله وعن سره استخلفه ، أخبره ساسان أنه ينتسب إلى بهمن بن اسفنديار بن كشتاسب . فأجلسه في قصره ، وزوجه من ابنته التي ولدت ابناً سماً ارديشير بابكان .

نشأ اردشير وكبر ، وبشجاعته طار الخبر . فلما سمع به اردوان ملك إيران ، طلبه ليرى شجاعته . فلما جاء إلى اردوان ، أخذته هذا الأخير مع أولاده الأربعة إلى رحلة صيد . فاصطادوا ، وعلى غزال رماه اردشير وقتله وادعى ابن اردوان قتيله ، تنافسوا . فقال له اردشير : « إن هذه الصحراء مملأى بالغزلان . فارم آخر إن كنت صادقاً . فغضب اردوان منه ، وعينه حارس شرف على اصطبله . فرضي بالأمر وسكن بيتاً تحت القصر . فعشقه جارية كانت هناك تدعى الجلنار ، وأخذت تتردد عليه .

مات بابل في اصطخر ، فعين اردوان ابنة بهمن حاكماً عليها . وهرب اردشير بعد سماعه التفسير الذي أخبرته عنه الجلنار ، مفاده أن اردوان طلب من المنجمين والعلماء أن يعرفوا من سيتولى بعده . فأخبروه بأنه واحد من المنتسبين إلى عرف كريم يجده في الهاربين من قصره . فلما أدرك الحال ، وجد الجلنار قد هربت مع اردشير على فرسين بعدما أخذت ما أرادت من الجواهر والذهب . فكتب كتاباً إلى ولده في اصطخر يحذّره من الخطر ويخبره أنه لم يستطع اللحاق بأردشير بعدما ركب وراءه واقتفى أثره . فلما استلم الرسالة ، تنبه للأمر وتلظى كالجمر ، واستعد

لمحاربة اردشير الذي جمع صحبه ومؤيدي حقه . وتوجه بهم إلى اصطخر كبرى الممالك بين ملوك الطوائف . فتحاربوا طويلاً إلى أن هزم بهمن ، وهرب مع عدد من جنوده.

دخل اردشير اصطخر وسلم أموره إلى بطل كان معه يدعى يياك بعدما استأنه وعلى أسرارته استخلفه . ثم استعد لقتال اردوان الذي قدّم إليه من الري . فتلقاه ، واتصلت الحرب بينهما أربعين يوماً متوالية ، انتصر على أثرها اردشير وقتل اردوان بعدما أسر اثنين من أولاده . وفر الآخرون إلى بلاد الهند . ثم ارتحل إلى الري وتزوج من ابنة اردوان لتدله على كنز والدها . ثم عاد إلى اصطخر وبني مدينة جميلة دعاها بأردشير خره ، فأقام فيها بعدما قتل الأكراد الذين ظهروا بأطراف البلاد .

في ناحية أخرى من بلاد فارس ، وفي مدينة على ساحل البحر تسمى كخاران . كان لرجل يسمى هفتواذ (له سبعة صبيان) بنت واحدة ، تذهب مع صاحباتها إلى سفح جبل لغزل القطن ونسجه .

ذات صباح كانت تاكل تفاحة وقعت في حجرها . فوجدت في وسطها دودة . فأخذتها ووضعتها في وعاء كان معها . ثم غزلت كثيراً ذلك النهار على اسم الدودة.

أما الدودة فقد قدّموا لها طعاماً من الحديد مُذاباً مع الرصاص والنحاس . فلما أكلته انشَقَّ حلقها وانتهى أمرها . ثم ارتحل الى فارس فشهرز فطيسفون مسلماً زمام الإقليم والقلعة اللذين احتلها الى الصديقين الفلاحين اللذين أمّنهما .

ولما كان اردشير متزوجاً من ابنة اردوان . فقد أمر بطمرها تخلصاً من غدرها بعدما حاولت أن تسمه بتحريض من أخيها بهمن الهارب ، ومن وجه اردشير شاردا . فلما استشفعته وجعلها منه استرحته . رفض أن يساعدها والى عهدته يرجعها . فأخذها وزيره ، ووضعها في قصره آمراً زوجته بخدمتها والسهر على راحتها ، بعدما طهر نفسه لئلا تسوء سمعته ، ويُهتَكَ شرفه . فلما ولدت صبياً . أخذه ، وعن العيون أبعدته حتى كبر وأصبح عمره سبع سنين .

ذات يوم دخل الوزير على اردشير فأبصره مهموماً وعلى عرشه مزعوجاً ، لأنه لم يخلف ولداً يرثه ، وعلى العرش والتاج يجلسه . فانهزها الوزير فرصة وتكلم بعد طلب الأمان . فأخبره بقصة ابنه ، الذي كان ينوي قتل أمه . ففرح اردشير وأمر بنثر اللنانير . وأمر الوزير بوضع ولده في جم غفير ليرى إذا كان بإمكانه أن يعرفه ، ومن

وظلت تعمل فيما بعد هي وأهلها حتى اغتوا وفاقوا الأمير ثروة . فتصدى لقتالهم . فقاتله هفتواذ وانتصر عليه وانتقل الى قلعة محصنة مبنية على صخور ضخمة ، ونقل الدودة من وعائهما الى حجرة خاصة بها حيث صارت كالفيل كبراً ، وضخامة ، واستفاض خبرها بين الناس فسميت تلك الناحية كرمان (كرم بالفارسية : الدودة . والجمع كرمسان) .

علم اردشير بخبر هفتواذ وعدم انقياده لسلالة كيقباد . فقصده محارباً ورجع منهزماً ، بعدما أضاق هفتواذ عليه الحصار ، فولى الأدبار . وعلى الطريق تعرف بصديق ، أخذه الى منزله وعرفه بصاحبه . فأصبحوا كلهم أصدقاء . فلما عرفوا أنه اردشير ، ووراء ثأره من هفتواذ يسير . أشارا عليه بالحيلة لأن الدودة مسكونة ومن عمل الشيطان ملعونة . ثم جمع جيشه لمقاتلة مهرك صاحب كهرم الذي استولى على اردشيرخره في غيابه . فلحقه ثم قتله ، وقتل كل من ينتسب اليه ، ثم سار الى قلعة هفتواذ لاجئاً الى الحيلة ، كما فعل اسفنديار بقلعة أرجاسب . فلما دخل وعزّم ، والنار أشعل ، هجم قائده لما رأى دخان النار . فدخل مع جنوده القلعة وقتلوا هفتواذ وولده الأكبر سابور .

بين الغلمان ينظره . فعرفه دون دليل ، لكن من الحنين الذي طفح قلبه . فأخذه وعلمه الآداب الشاهنشاهية والمراسم السلطانية حتى فضج وكبر ، وفي حروب والده انتصر . ولما أراد والده أن يزوجه راسلَ عالم الهند وملكها كيد ، سائلاً إياه عن الاستقرار والسلام ، فأجابه قائلاً : لا يتم ذلك إلا بمرادك . فإن زوجت ولدي الذي من نسلك ، إلى نسل مهرك ، عم الأمن والاستقرار ، وانصرف الناس إلى البناء والعمار . فأرسل اردشير طالباً بنت مهرك التي هربت حين قتل والدها . فلم يجدها لأنها التجأت إلى ضيعة بعيدة واختفت . وبينما كان ذات يوم مع ولده سابور يتصيد . سرّحاً وفي الصحراء ساراً . فعطش سابور واتجه إلى ضيعة كثيرة الماء والشجر . ثم لقي جارية جميلة كالقمر . سقته وأعجبته . فلما سألها عن اسمها . حلفت له واستأمنته بأنها ابنة مهرك وطليبة الملك اردشير . فتزوجها سرّاً ، ولو علم والده لأخذها له جهرّاً . فرزق صبيّاً سماه اورمزد الذي ما أن أصبح عمره ثمانى سنوات حتى اكتشف اردشير أمره وذاع سره . فبينما كان يلعب مع أقرانه بالظابة ، وقعت قرب جده ، فما تجاسر أحد من الاقرباب إليه إلا اورمزد . فتعجب اردشير منه ، وأخذ

يسأله . فعرف أنه ابن سابور من ابنة مهرك . ففرح هاتفاً ، وابنه مهنتاً . ثم فرق الأموال على الفقراء وزين بيت النار بالديباج والأوان الثياب . وادرك أنه منذ ثمانى سنين ، من حيث ولد اورمزد . لم يقدر جيشاً ولم يخضع حرباً . بل ابتعد عن الأسر والتقييد ، تماماً كما قال له كيد .

ثم إن اردشير عسرف حسن الإدارة والتدبير . فنظّم الجيش ورتبه ، وديوان الجند أسسه . وجعل لكل جندي راتباً ، ولكل ألف جندي قائداً . فمن كان شجاعاً أدخله . ومن كان جباناً حوّه إلى الحرف والأشغال . فانتظمت ممالكه وكبرُ عسكره . وخصص للمظلومين مستعماً ، وللرسل قصرّاً ومركزاً ، واختار من قوّاده من كان عالماً وعاقلاً . فأرسله إلى مباحثة أعدائه للدخول في خراجة . ونبهه إلى حسن المحادثة وآداب المشاورة . فإن أبوا أعذرهم وأنذرهم وأكابر قواده لمحاربتهم أرسلهم . فعظمت أمور شعبه . وانتظمت أحوال ملكه . وأسلم الروح بعدما ملك اثنتي وأربعين سنة ، مُخلفاً وراءه مدناً باهرة ، وعهداً ميموناً وذكرّاً طيباً .

استلم سابور ملك اردشير ، وعلى سيرة أبيه كان

كلهم حكموا الفترات قصيرة ومدد يسيرة . فانصف حكمهم بالعدل والرافة والإدارة الحسنة .

لما مات هرمز بن نرسی ، ولم يكن له ولد يخلفه . اجتمع أشراف مملكته ، وأعيان دولته . فنظروا في جواربه ، فوجدوا واحدة حُبلى منه . فنصبوا ولدها بعد وضعها ، ملكاً على إيران بعد تسميته سابور . ووضعوا شهريو "موكلا" ومدبراً ريثما ينشأ الصغير ويكبر . فلما بلغ خمس سنين ، ورأى الذاهين والراجمين قد ازدحموا على جسر فوق دجلة . أمر ببناء جسر آخر يكون للذاهين ، والأول للراجمين . وظلَّ يترعرع وعلى آداب الملوكية ينظر ويتسمع ، حتى كبر وخرج لقتال ملك من آل غسان من العرب . كان قد هجم ، ومدينة طيسفون اقتحم . فنهبا وسرق ذخائرها وأسر نساءها وبينهن عمه لسابور . فرزق منها بتاً دعاها مالكة . فلما حاربه سابور ، حاصره بقلعة في اليمن وقطع عليه المرور . واستطاع بعد حصار شهر أن يدخلها ويقتل ملكها بعد مساعدة ابنة عمته من الداخل ، التي راسلها وأعجب بحسن خصائلها . فعشقه وعشقتها . وأمر بعد الاستيلاء على القلعة ، بقطع اليدين والكتفين عن الرقبة . فلقبه العرب من أجل ذلك « ذا الأكثاف » .

يسير . فساس بالتعاون أساساً للتضامن . وحارب أهل قيذاه لما امتنعوا عن أداء الخراج . فتوجه اليهم وأسر بطلهم برانوس . ففصرعوا اليه بالسلام ، ورجاه قيصر الروم طالباً الأمان ، باعثاً اليه أجمل الهدايا وكل السبايا التي سبها في حروبه . وكان اردشير يستشير أسيره برانوس في أعماله وأعداء إياه بفك أسره إن هو بنى له قنطرة فوق واد كثير الماء بمحلة تدعى بتسر . فجد واجتهد وأمر الصناع ببناء القنطرة فلما انتهت ، سلمه إياها . ففك أسره وحلَّ قيده . ثم اتجه سابور الى محاصرة قلعة الحضر لما سمع من تطرف صاحبها وتكبر قائدها الضيزن بن معاوية . فحاصرها أربع سنين دون أن يقتحمها لقوة سورها وتعاضد جنودها من قضاة وبني العبد وغيرهم من قبائل العرب . لكنه عاد ودخلها بمساعدة ابنة قائدها النصيرة بنت الضيزن . فإنه لما رآها ورأته ، عشقها وعشقه وعلى سر القلعة دلته . فلما دخلها بعد تداعي سورها تزوجها وأكرمها وعلى نسائه رفعها . وظلَّ على عدله وقوته حتى وافته المني بعد حكم دام ثلاثين سنة . فاستلم ابنه اوزمرد اوهرمز مكانه ثم بهرام بن هرمز ، فبهرام بن بهرام ، فبهرام بن بهرام أيضاً . ثم نرسی بن بهرام . وأخيراً هرمز بن نرسی .

ثم إنه أراد أن يطوف وبلاد الروم يشوف . فتنكر
بزي تاجر ومثل في حضرة قيصر الروم لتقديم هداياه وبذل
عطاياه . فاستقبله قيصر الذي تنصّر ، ودعاه إلى طعامه
وشرا به ، ثم قيّده وكنّبه وفي جوف جلد حمار وضعه ،
بعدهما عرفه بواسطة أحد خدامه الإيرانيين . ثم سلّمه إلى خادمة
إيرانية كانت عند زوجته ، لتحفظه وتعتني به . وهجم
قيصر على ممالك فارس مستغنياً فرصة غيابة سابور .
فاقتحم منازلها وقتل أهلها وأجبر من نجا منها على الدخول
في دين المسيح . لكن سابور استطاع أن يهرب من
أسره بمساعدة الجارية التي ركبت معه على حصان أسرجه .
فلما وصل إلى خورستان ، وعلى باب بستانی أخذ يدقان .
فتح لها وفي ضيافته أكرمهما . ونزل في خدمتهما بأحسن
طعام وأطيب شراب . ولما عرفه سابور بنفسه وسأله عن
ملكه . تحسّر على الإيرانيين الذين أصبحوا مكبلين ، وفي
دين قيصر خادمين . فأمره بالذهاب إلى قائد قواده ،
وإعلامه عن حاله لجمع العسكر واقتحام المعسكر . ففعل
البستاني بما أمر ، وأتاه مع الجواسيس بأخبار قيصر الذي
يقضي كل أوقاته في الصيد واللهو بمعسكر في مدينة طيسفون .
فلما تجمع معه ثلاثة آلاف فارس . هجم على معسكر
قيصر بغتة ، كالشمس البارزة من بين الغيوم الداكنة

ونزل قتلاً بالسيوف والرماح . فأسر قيصر وأعوانه .
وأرسل إلى الأمصار يعلمهم بالأخبار . ويعلن عودة السلطان
لإشاعة العدل والأمان . ثم كرم البستاني وجعله أعظم
أهل زمانه . وأمر بإحضار قيصر . وأخذ يحاسبه على ما
بدر منه . جاعلاً إياه يدفع الثمن بأسره وهلاك عسكره ،
وخراب بلده الذي هجم عليه ، ونازل يانس شقيق قيصر .
فهزّمه وانتصر عليه . فلما رأت الروم ما فعله سابور ولوّا
برانوس بالتكلم عنهم ، ومباحثة عدوهم بالسلام والدخول
في الخراج . فأمر سابور برانوس بالمجيء إلى حضرته
مع فلاسفته وأساقفته . فجاءوا مدلولين ولعدله متضرّعين .
فأمرهم بعدما أحسن وفادتهم بالتزام ثلاثة آلاف دينار
كل سنة ، والتخلي عن مدينة نصيبين التي عاد ودخلها
بعد تغت أهلها ورفضهم الانقياد لحكم سابور . فلما تمّ
له كل ذلك ، استقر ملكه وبني مدنه ، ومنها مدينة
نيسابور ومدينة خاصة لأسرى الروم . ومات بعد أن صلب
ماني المهور من أرض الصين الذي ظهر مدّعياً النبوة .
فلما حقق في دعوته وبشأن أمره . وجد دعوته كاذبة
ومن الحقيقة خالية . ثم جاء أردشير بتنصيب من سابور
الذي قبل أن يموت ، جعل ابنه الصغير سابور وليّ عهده

بهرام جور وقصصه

جلس يزددجرد الملقب بالأثيم واستلم ، وبالظلم والجور حكم . فعظمت أفعاله وكبرت أعماله . فخاف الناس من شره ، ولم يتجاسروا في اتخاذ مشورته . واستوى عنده العالم والجاهل ، والصالح والطالح . ولما استكمل من ملكه سبع سنين ولد له ابن سماه بهرام . فخاف العلماء عليه من ظلم أبيه واستفحال أمره . فأشاروا على الوالد بتربية القدام في إحدى الممالك المجاورة . فاجتمع عنده الملوك . فاختار المنذر بن النعمان ملك العرب ، وولده النعمان ليكونا كفيّلين والآداب والفضائل معلّمين . فأخذ المنذر إلى بلاد اليمن ووضعه تحت إشراف نساء أكابر العرب والعجم . فأرضعته وربّيته ولم يقطعه إلا

ومستلم عرشه . وجعل أخاه اردشير مدبراً ولولي العهد حارساً. فلما استلم الصغير بعد موت عمه اردشير . ساس بتنظيم الإدارة وحسن السياسة ، ومات بعد أن وقع عليه عمود خيمته التي كان يأكل ويشرب تحتها في رحلة صيد. ولما لم يكن له خلف ، بل خمس بنات وأخ يدعى يزددجرد. سلمه ممالكه موصياً إياه بشعبه وأموال خزائنه .

بعد أربع سنين . ولما بلغ سبع سنين . طلب من المنذر تعليمه القروسية والآداب السلطانية . فتعجب من ذكائه وشدة بأسه ، وأرسل في طلب العلماء لتعليمه كالنجباء . فاجتمع عنده أربعة منهم . الأول للخط والكتابة ، والثاني للصيد والطرْد ، والثالث للرماية واللعب ، والرابع لسرد حياة العظماء والتمثل بالحكام . فلما بلغ الثامنة عشرة . صرفهم النعمان بعدما خلع عليهم أموالاً باهرة وحُللاً فاخرة . واختار بهرام من كل خيل العرب فرسين ، كالريح الهوجاء في مسابقة الغنقاء . ثم اختار وصيفتين دون أن يتخذهما زوجتين ، لأن النساء كما قال ، راحة للعقول وتسلية للقلوب . لكنه عاد وقتل واحدة منهما لأنها استخفت بقوته وسرعة رحه ونشابه في رحلة صيد قساما بها لاصطياد الغزلان في أرض النعمان .

وكان النعمان يرسم صوراً لبهرام في جميع أحواله وأفعاله ويرسلها إلى والده يزدجرد . فلما رآها هذا الأخير ، أعجبَ ببهائه وقوة رجولته ، فطلبه للزيارة والبقاء للخدمة . فجاءَ مع النعمان بعد توديع المنذر . ونزل في خدمة والده جاعلاً إياه ساعده الأيمن ومستشاره الأفضل . لكنه تأخر مرة في الخدمة ، وأبطأ في المهمة .

فحبسه والده والزمه بيته . فضاق صبره وطلب عودته إلى المنذر ، فعاد إلى أحسن مما كان عليه .

ثم إن الملك أراد أن يعرف أخبار الفلك . فسأل المنجمين عن طول حياته وقُرب أجله . فجأوبوه منذرين وعن عين السوء (عين ماء) مبعدين . لأنه إذا اقترب منها سيموت للحال . وهكذا كان . فإنه لما مرض أشاروا عليه بالاغتسال بمياه تلك العين . فذهب محملاً والشفاء طالباً . فلما اغتسل شفي للحال : لكن جواداً أشهب خرج من الماء ، وركله ركلة أوقعته أرضاً ، وللحال ميتاً . ثم اختفى الجواد من حيث أتى . فلما مات ، اجتمع أكابر الفرس وعلمائهم لتقرير الخلف بعد السلف . فأبعدوا بهرام من قائمة الحكّام ، واضعين مكانه خسرو من الشجرة الكيانية والعزة السلطانية . فثار بهرام طالباً مساعدة النعمان . فساعده ومجنوده أمدّة . فسار إلى أطراف فارس يبعث فيها خراباً ويدمرها تدميراً . فأرسلوا إليه رسولا يطلب الصلح ، والكف عن الأذى . وظلت الرسل فيما بينهم حتى قرروا بأن يوضع التساج على العرش . وبشد قائمتي العرش إلى سبعين ضاربين مجوعين . فإن تمكن بهرام أو خسرو من التاج يكون له الملك والحكم . فاقرب بهرام وقتل السبعين

والشراب ، وينام في الثياب التي عليه . ثم أخذ يأكل ويشرب خلصة خفاقة أن يدعو ضيفه مُثَبِّتاً بخله ، نافياً يسره .

فلما كان الصباح قام بهرام وكنس زبل خيله كما وعد اليهودي . ثم ارتحل إلى قصره ، وأرسل في طلب السقاء واليهودي . فصادر أموال الأخير ووهبها للأول . فأصبح اليهودي من أخسر الخاسرين وفي عداد الفقراء والمحتاجين .

ثم إن بهرام حرم الحمرة لأنها مضرّة . فقد قتلت رجلاً جاءه بهدايا من الفساحكة . فدعاه للشراب وشربا كثيراً . فلما ارتحل ، شعر بها كالنصل . فبظلت عيناه ، وارتعشت يده . ومات من حمها في جوفه وسريانها في دمه . فلما علم بهرام ، حرمها ومن مجالسه أخرجهما . ثم عاد وحللها بعد أن عرف فعلها . فقد جعلت عريساً لما شرب كثيراً ، أن يركب سبعاً ، ظاناً إياه فرساً . فتعجب بهرام منه ، وحلل فعله الذي هو من تأثير الحمرة . وكان مرة في مصيده يتسلى . فاعترضه فلاح وأخبره عما لاح . فإنه لما كان يسقي والأرض يروي . نزلت الماء في ثقب وغارت فيه . فسمع لصوتها خريراً كأنها في سبيل.

وأخذ التاج ووضعه على رأسه . فخر خسرو راکعاً والعرش مسلماً .

استلم بهرام وحكم ، وفي الحضرة السلطانية ارتسم . فعامل بالحسن والمعروف كل من ساعده على الوقوف لاستلام الرئاسة وممارسة السياسة . فسامح من وقف ضده . وعفى عمن لم يدفع رُسمه . وشكر النعمان وأمرّاء العرب ووهبهم هداياه وآلاف التحف . وبث رُسله لإرجاع من شملهم جور أبيه . فعادوا آمينين وبعده شاكرين . وسمع مرة نجر السقاء واليهودي . فسأحب أن يمتحنهم وباستضافته يجربهم . فقصد السقاء ذات مساء طالباً المأوى شاكياً البلوى من ظلم الملك . فاستقبله وبمنزله أنزلـه ، وقدم له الطعام والشراب بعد أن رهن الثياب . ولما أراد أن يرتحل ، طلب منه السقاء أن يبقى ، وفي بيته يأوى إن أراد أن يتخاص من ظلم الملك . فبقي عنده مدة أسبوعين ، بعد أن أوقعه في دين ثمن الطعام والشراب الذي قدّمه للضيف . ثم ارتحل قاصداً اليهودي . فلما حضر إلى بابه . امتنع عن ضيافته . فلما ألح ، استضافه مكرهاً ، وفي ركن صغير من منزله أعطاه منزلاً . واشترط عليه إن هو أراد الإيواء لليلة ، أن يمتنع عن الطعام

المرأة وزوجها . قبلاً الأرض بين يديه ، واعتذرا عند رجليه على ضيق حالهما وصغر بينهما . فأحسن اليهما ، ووهب لهما تلك الضيعة . وأوصاهما بحسن الضيافة والمحافظة على الصداقة .

ثم انه خرج أيضاً للصيد في موكب عظيم تحدثت عنه الأقايم . وكان معه طير جارج يُسمى طغرى ، هدية من خاقان الصين . فطيره ووراء الطيور أرسله . فحلّق في السماء وطار مع الهواء حتى غاب عن نظره . فلحقه مع ركه قاصدين جليسه . فوصلوا إلى قصر منيف في ضواحي الريف . فقام صاحب القصر وكان يسمى برزين ، ودعاه إلى ضيافته ، دالاً إياه على طغرى الذي علق في شجرة . فأرسل بهرام غلمانه وجلبوا طغرى . وكان لبرزين ثلاث بنات . واحدة مغنية والثانية راقصة والثالثة جنكية (تدق على الرباب) ، فغن بالضياقة وحسن الوفاة . فأعجب بهرام بهن ، وطلب الزواج منهن . فقبل والدهن . فأخذهن بهرام بعد أن أجلسهن على عروش من الذهب محلاة بالقصب .

وأظهر بهرام مرة شجاعة فائقة في اصطلياد الحيوانات الفسارية في صحراء خبر فاصطاد سبعا خرجت من بطنه

فأمر بهرام بالحفر ، فوصلوا إلى شبه قبر ، فحلّى بالذهب ، وموشى بالقصب . ومخروساً بأصنام من الباقوت ، ووضعت على التابوت باسم جمشيد . ففرق هذا الكثر على الفقراء والمحتاجين وفتح أبواب كنوزه على العسكر . لأن المال إن وجد فسييله إلى الصرّف وتحسين أمور الرعية . لا إلى الخزن والدفن ووضعها في كفن .

وكان مرة يتصيد وحيداً . فرأى ثعباناً عجيباً غريباً . كانسواء شكلاً والرجال قوة . فقتله وشق بطنه . فإذا برجل شاب في جوفه كان قد ابتلعه . فبكى له وهرب من سم الثعبان ، الذي دوّخته ومن مكانه أبعده . فوصل إلى دارة في ضيعة ، على بابها امرأة . فطلب المبيت ونزلت هي في الترتيب . فحضرت له مكاناً للنوم وطعاماً للأكل . فأكل وشبع وأخذ يسألها مع زوجها عن أحوال ملكيها . فأجابته قائلة : « إنه عادل ، وفي بعض الأمور ظالم . فإنه مثلاً يأخذ على هذا البستان خمسة دراهم في كل سنة . فاستقل بهرام القيمة ونام نائماً زيادته نسبة لقلته . فلما أصبح ، عاد وأصلح ما نوى عليه ، لما وجد أن البقرة التي عند المرأة لم تعد تحلب لأن الملك نام وهو ظالم . فلما رضي ، عادت البقرة وأدرت بلبن غزير . ولما عرفته

لبوة . فتلقاها بالسيف ونزل كالضيف على أهل مدينتي
خبر وبرقويه ، الذين ما أن علموا بقدومه حتى خرجوا
مسرورين ، وبضاعتهم ومصنوعاتهم مبيعين . فرحب بهم
وقبل هداياهم وأمر بإسقاط الخراج عن المدينتين . ثم
تحرك لصيد اليعافر فقتلها كأنها عصافير .

وانتقل بعد ذلك إلى بغداد ثم إلى اصطخر ، لاهياً مع
نسائه وجواريه ، قاضياً وقته بصيد حُمر الوحوش قسماً
ببهرام جور (كور تعني حمار الوحش) لكثرة ما قتل
منها ومن غيرها .

ولما كانت رحلات صيد بهرام كثيرة ومغانمها عظيمة.
فقد انتجة مرة صوب أراضٍ واسعة لاصطياد النور
الجارحة . فلما انصف النهار واشتدت الشمس الالهية
كأنها نار حارقة . تحول مع صحبه إلى ضيعة غناء كأنها
الصحراء وسماً والجنسات منظراً . فلما دخلها لم يستقبله
حاكمها ولا أهلها ، كأنهم ليسوا تحت طاعته ولا داخل
ملكه فاغتاظ ، وللأمر احتاط . ولأنه لا يحب العدوان ،
ويؤثر عليه الأمان . فقد أمر رئيس كهنته الذي كان معه
بتحويلها إلى أرض بور وحفر غور ، دون المساس بأهلها
وإهدار حقها . ففطن رئيس الكهنة للحيلة . وأشاع أن

الملك تخلى عن حكمه لهذه الناحية . وأمر كل رجل وامرأة
بحكم نفسه وتنفيذ رأيه . فاستمسك كل شخص برأيه
وأراد فرض نفسه . فعمت الفوضى وكثرت البلوى ،
وقتلوا بعضهم بعضاً . فخربت الضيعة وصارت كالمقبرة ،
تسرح فيها الأشباح بعدما هجرتها الأرواح .

وكعادته في رحلات الصيد ، رجع بهرام بعد سنة ،
ومرّ من تلك الناحية . فلما رآها دوراً خراب وعزاً في
التراب . حزن على أطلالها بعد عزها ، وأمر بإعادة بنائها ،
فتوجه كاهنه منتقلاً من خربة إلى خربة . فوجد رجلاً عجوزاً
لم يرحل أمام بيت لم يسلم . فأخبره بنية الملك في إعادة
تشيد الضيعة . وأوكله أن يتصرف ، وعلى غيره لا
يتصرف ، طالباً منه إطاعة الملك دون التفرد بالرأي .
فامتثل الرجل لأمره ، وعمل برأيه . فأعاد الحياة إلى
الخراب والمياه إلى الانسياب . وعرف من بهرام أنه متى
استولى حاكمين على محلة ، وأكثر من رأين على بلدة .
كانت النتيجة الخراب في مدة كأنها السراب .

وبعد مدة خرج بهرام للصيد . فلما أمسى مع حاشيته
على سفح جبل . رأى من بعيد ناراً وهجاء في وسط
الصحراء . فتقدم للاستطلاع دون ارتياح . فرأى أربع
بنات باسمه مغنيات وبجالة منشدات . فبهز بجمالهن وبحسن

أصواتهن . ثم سأل عن سبب النار التي في وسط الدار . فأجبت أنها لوالدهن الذي ذهب ليصطاد وتأخر في العودة . فأشعلن النار ونزلن منشدات حتى يرى مكانهن ويسمع صوتهن فيستهدي للحال . فلما عاد الوالد ، فوجيء بوجود بهرام . فعفر خدة في التراب بعد أن غير الثياب . ورحب به في داره بين بناته . فنزل بهرام ضيفاً ويد البنات خاطباً . فلم يصدق الوالد طلب بهرام الذي عاود السؤال مؤكداً إنه لا ينبغي مالا ، ولا ينقص جاهاً . فرضي الوالد . وتزوج بهرام البنات واهضاً والدهن حاكماً على المنطقة ، متصرفاً في أمورها ، متدبراً في شؤونها .

ثم إن بهرام التهمى في صيده ، وانصرف عن إدارة شؤون مملكته . فكثرت الطامعون ومنهم الخاقان ملك الترك والصين . فجهز جيشاً عظيماً واتجه به نحو إيران . فما أن سمع به قواد مهرب حتى نهوه ، وعن الصيد منعوه . لكنه ما امتنع وفي الصيد اتسع . وحضر في السر جيشاً صغيراً من أكابر قواده وأشجع فرسانه . واتجه به نحو مرو لمحاربة الخاقان . ووضع أخاه نرسي بن يزدجرد مكانه ، مسلماً إياه العرش والتاج .

في هذه الأثناء كان سكان إيران قد ضجوا من بهرام

وهروبه من المسؤوليات . فكتبوا إلى الخاقان بعد امتناع نرسي ، يعلمونه بالطاعة وقبول الزيادة التي فرضت على الخراج . ففرح الخاقان واستكبر وعلى أمراء الترك والصين تنمر . فقبل طاعتهم ، وذهب للصيد منتظراً وصول الخراج من إيران .

أما بهرام الذي كان قد شارف مرو ورجعت جواسيسه من استقصاء الأخبار . فقد هجم على الخاقان بمن معه من الفرسان . فنزل قتلاً وأسراً وعليهم منتصراً . ثم دخل مرو وحررها من أمراء الترك والصين وتابع سيره حتى توغل في أطراف ممالك توران . فاعلاً بأهلها كما فعل بالخاقان . فاستأنوا إليه ، ودفعوا الخراج زيادة عما كان وانصرف حتى وصل قريبر . فبنى هناك داراً ، جعلها واسطة بين ممالك الفرس والترك . وجعل جيحون فيصلاً بين المملكتين . ثم كتب إلى نرسي يعلمه بالنصر ويهتسه بالظفر . وبتننى له لو كان معه ليشاهد أسر الخاقان ورفع راية ملك إيران . ثم توجه نحو اصطخر محملاً بخراج ممالك توران حتى وصل إلى دار مملكته ومكان عيزه . فأنفق الأموال في بناء القناطر والحنانات . ووزع منها على الفقراء والأيتام والأرامل والعسكر . ثم أمر بإحضار تاج

الخلافتان ، فقلعوا جواهره ورصعوا بها حيطان بيت النار. ثم توجه إلى طيسفون. فتلقاه نرسي وأكابر إيران بنشر الدنانير ورش الأزاهير . فجلسوا للطعام والشراب بعدما عفا عن أهل إيران لمراستهم الخلافتان . ثم كتب إلى جميع الممالك بالإعفاء من الخراج لمدة سبع سنين ، شكراً لما من الله به عليه حين أظفروه بالرغم من ضعفه وقلة عدده وعدده ، بعدو مثل الخلافتان في قوة شوكته وكثرة عدده وعدده . ووضع نرسي ملكاً على خراسان ، واستقبل رسول قيصر الذي جاء عنده يوم مسيره لمحاربة الخلافتان . فطالب مقامه وحنان جوابه : فأدخله إلى قصره وأجلسه بقربه. فاستمع إليه وأعجب بعلمه . ولما كانت زيارته لإبلاغ السلام وسؤال العلماء عن سبعة أشياء . فقد جمع مهرباب الفلاسفة والحكماء . وتناقشوا مع رسول قيصر عن أمور الحياة وأسرار البقاء . ففرح منهم الرسول ، وأدرك أنه لا خوف من المجهول . ثم قام وانصرف مُحملاً بالهدايا والعطايا بعدما بقي عدة أيام في قصر الكرم كأنه في لرم. ثم نظر في أمر عسكريه وممالكه ، التي قسمها إلى أقاليم وولايات . ووضع على كل واحدة منها بطلاً وعالمًا . وأمرهم بالعدل والإنصاف في معاملة الرعية متجنبين الأذية. لأن الناس ينظرون ومثل حكاهم يسرون . وأمر شعبه

بالإخلاص والتفاني في إعمار المباني حتى يعم السلام وينتصر الإنسان وتكبر ممالك إيران . وأطب في تذكيرهم ونصحهم مذكراً إياهم بالثواب والعقاب وعدم التعرض للفقراء والأغنياء سواء كانوا أقوياء أم ضعفاء . وأمرهم بإفاضة الإحسان وإشاعة الأمان . فعم الغز عهده واستقام ملكه. ودخل الملوك تحت طاعته ما عدا شكل ملك الهند الذي أخذ يعيث في البلاد من حدود الصين إلى أرض الهند ، مُتمنعاً عن دفع الخراج والدخول تحت راية السلطان . فكتب إليه كتاباً افتتحه بالدعوة إلى الله والتضرع إليه . واختتمه بطلب تأدية الخراج وعدم إشراخ الأسنة والرماح ضد الرسول الذي يحمل المرسول . ثم ختمه وكتب عليه « من بهرام ملك العالم إلى شكل قائد جيوش الهند من أرض قنوج إلى حد السند » . ثم وضعه في جيبه وخرج سراً إليه ، على أنه ذاهب للصيد. فلما وصل وفي حضرة شكل مثل انبهر بروعة قصره وندرة جواهره . وأجلسه شكل بجانبه على أنه رسول بهرام . ثم قرأ الكتاب الذي يهدده بالعقاب . فاحتج واهتز وعلى الرسول أراد أن ينقض فهدأه بهرام (الرسول) ودعاه إلى انتقاء مائة فارس من آساد فرسانه وأعيان قواده ، فإن تمكنوا منه

جياً جماً ، وبكت من فرط شغفها دمعاً . ثم لأنها طماوعته ورضيت بالفرار معه . ومهدت له الإديار ليلة زيارة والدها للأصنام ، لأنهم لا يعبدون النار . إذ ذهبت إلى والدها قائلة : « لأن المكان يبعد عن المدينة مسافة بعيدة ، وزوجي متوكل الصحة ويشعر برعشة . فأرجو له السماح بعدم الذهاب لثلاث تسوء صحته ويتغير لونه » . فقبل والدها عذرها ورجتسه ألا يلحقها . ثم ذهبت إلى زوجها بعد سفر والدها ، وركبت معه يلحقهم صحبه . فلما وصلوا إلى الشاطئ ، وكان بهرام قد اتفق مع أصحاب الزوارق بعد أن وعدهم ومناهم . فركبوها وأبحروا فيها.

لما علم شنكل بخبر الهروب . رجع مسرعاً عن طريق الأزقة والدروب حتى وصل إلى الشاطئ واستقل زورقاً من الزوارق . فلما رآه بهرام خلفه ، نصحه بالعودة إن هو أراد السلامة متجنباً المحاربة . مذكراً إياه بقوته وشدة بطشه . فأخذ شنكل يتحاييل وبكثرة فضائله على بهرام يتساءل . ثم لعن ابنته التي هي معه . فما كان من بهرام إلا أن هب واقفاً وسره كاشفاً ، قائلاً له : « ما لك تعبرني ، وهل عار في أن يراجع الإنسان وطنه ، ويعاود أهله وسكنه ؟ إلا أنني شاهنشاه إيران ، ولست ترى مني

ومن فرسانه الذين معه ، امتنعوا عن الخروج . وإن لم يتمكنوا دفعوا الخروج وأمنوا بجانب بهرام . فترل على طلبه ، وأمر لساعته بالطعام والشراب . فلما انتهيا . أمر شنكل بمصارعين . فأخذوا يتصارعان ولا يغلبان . فقام بهرام من شدة سكره وفقد وعيه يصارع الرجلين . فغلبها ، وعلى الأرض طرحها . فتعجب شنكل منه ، ودعا له .

ولما كان اليوم الثاني . نزل إلى المباراة في زي المباحة . فرمى خصمه بنشابة رمته أرضاً وقتلته قتلاً . فارتاب شنكل منه وشك بقوته التي لا يمكن أن تكون إلا للسلوك . فلما صارحه وإلى بهرام نسبه . رفض قوله زاعماً إنه اجنبي يعمل في خدمة بهرام . فخلا شنكل بوزيره وساوره بشكوكه طالباً منه لإغراء الرسول بالبقاء على طول في خدمة شنكل ومحاربة بهرام . فلما حادثه الوزير ، رفض الطلب بكل أدب وطلب الإذن بالانصراف . فلم يأذن له شنكل إلا إذا قتل الكركدن والثعبان اللذين استفحل شرهما وعظم أمرهما في بلاد الهند . فترل عند طلبه رغم تحذير أصحابه وقتل الحيوانين الهائلين . فهتللوا له وهتفوا بحماته ، ولما أراد الرجليل زار مجلس شنكل . فلاقاه الأخير وحده وغرره بتروجه ابنته . فرضي وبقي مختاراً سبيوز التي أحبتنه

أنها تكفيه لمدة ثلاث وعشرين سنة . فأوقف الخراج عن الناس والدنيا ، وسأل ثقاته في إخباره عن الأحداث التي تحصل في الأمصار . فأخبروه أنه لما أوقف الخراج ، ارتفعت الكلف من الناس . فاستغنوا فطفوا فأخذوا في سفك الدماء . فلما علم بذلك أمر بعودة الخراج لمدة ستة أشهر في السنة ومعاقبة كل من يعمل جريمة ولا يخلد إلى السكينة . ثم سأل أعوانه عن الأخبار في كل الأقطار . فأجابوه بأن الناس انصرفوا وعن الزرع والحصد بطلوا . فأمرهم بتلزييمهم الزراعة وإعطاء كل من يحتاج إلى إعانة حتى ولو كانت من دار السلطان وبيت المال . ثم عاد وسألهم بعد مدة . فأجابوه بأن الأحوال على انتظام والشعب على وثام . لكن الأغنياء يلبسون أكاليل الورد والريحان ، ويشربون على أصوات القيان وأغاريد المسمعات الحسان . ومن عداهم من القلّين يشربون بلا غناء وهم من ذلك في تعب وعناء . فكتب إلى عمه يطالبه بانتخاب ألفي نفس من الهنود الذكور والإناث ، من المخصوصين بحسن الصوت وجودة الصنعة في الغناء . فلما وصلوا إلى أرض إيران . اشتغلوا مدة بأمسان ، ثم تفرقوا في الأمصار ، يقتلون

بعد هذا إلا الجميل والإحسان . ولأتخذنك والدأ ، ولا أكلفك خراجاً أبداً . وأصير ابنتك سيدة النساء في تلك الأقطار والمخصوصة فيها بالشرف والفخار . فخرّ شكل ساجداً ، ثم أسرع معانقاً . وجلسوا للطعام والشراب ، وتعاهدوا على المعاملة كالأصحاب . ثم ودّع كل واحد منهما صاحبه وأخذ في طريقه . فلما وصل بهرام إلى إيران ، استقبل بالزينات . وعرض له العسكر الذي أخذ يكبر . وجلس على عرشه في مستقر سكنه ، ينهى ويأمر ويعطي ويمنع . وبعد مدة من الزمان ، زاره عمه ملك الهند . فاستقبله عند النهروان من أراضي إيران . وأجلسه في قصره ونزل في خدمته . فتعجب شكل من حسن تربيته وعز سلطانه . وزار ابنته في مجاسها . فرآها معتصبة بالتاج على عرش العاج . فسرّ بسعادتها وبهئائها بزوجها . وبقي عند صهوه مدة من الزمن ذهب بعدهما إلى بلاده محملاً بالهدايا وآلاف العطايا له ولصحبه الذين معه .

ثم أن بهرام ، أشاع الأمن والأمان وأفاض العدل والإحسان . فعامل الرعية بحسن السياسة وتنظيم الرئاسة . وأحصى الأموال والذخائر الموجودة في الخزائن ، فوجد

والد كسرى

استلم يزددجرد مكان بهرام . فكان مثله يؤثر الإحسان
 ويحب الأمان ، ومات بعد حكم دام ثمانى عشرة سنة
 مُوصياً العرش والتاج لولده الأصغر دون الأكبر ، لأنه
 موصوف بالرفق والسكون والنبات والعقل . فاستلم الأصغر
 هرمز وغار الأكبر فيروز الذي كان في سجستان يوم وفاة
 أبيه . فطلب مساعدة ملك الهياطلة الذي أمده بجيش كبير
 لقضاء مقاطعتي ترمذ واشجرد . فتقاتل الأخوان في ظاهر
 الري ، وغلب الأكبر الأصغر وأخذ مكانه بعدما حله من
 أسره وسلمه قيادة جيشه . ونوى أن يجعل ليران جنة من
 العمران ، لكن القحط الذي أصاب البلاد لمدة سبع سنوات ،
 جفف الأنهار وضروع الأبقار . فأوقف الخراج عن الناس

وينهبون ومن صوب إلى صوب يرحلون ، وهم الذين
 عرفوا فيما بعد بالغَجَر . وبقي بهرام على عرشه إلى أن
 فرغت الخزائن كما قال له الخِزَازن . فسلم ابنه الحكم
 ومات دون أن يدري به أحد . وظلَّ ذَكَرُه وفعله على
 لسان الناس إلى الأبد .

وصرف من خزائن الدولة . وهدد بخراب المدن وقتل الناس إن هو عرف بموت أحد من الجوع . فالغني يصرف على الفقير حتى يتيسر التدبير .

ولما دخلت السنة الثامنة . نزلت الأمطار وفاضت الأنهار ، وخرج الناس للاستسقاء فرحين ، وبنزول الديمة مهللين . ورجع فيروز إلى مشاريعه . فبنى مدينة باسمه وأخرى باسم باذان فيرون قرب الري . وتأهب لمحاربة ملك الترك غير راض بالقسمة بين الملكتين ، وهي التي وضعها أجداده . فارتحل عن إيران وأضعماً مكانه ابنه بلاش . ثم ترأسل مع خوش نواز ملك الترك ، فأخذ الأخير يهدته وبنصيبه يقنعه . لكنه ما اقتنع وبتهديدات ابن الخاقان ما ارتدع . فتقابلوا والحرب تناوشا . ثم هجما فوق فيروز مع ولده وأخيه وقواده في حفرة كان قد أعدّها ابن الخاقان . فماتوا وما سلم منهم إلا قبّاذ فأخذه خوش نواز وقيّده وفي سجن وضعه ثم حمل على الإيرانيين . فقتل وأسر وغنم وعاد ظافراً . لكنه سرعان ما ندم لتسرعه في محاربة الخصم ، إذ أن سوفزاي حاكم زابلستان كان قد كتب لبلاش بن فيروز يخبره بموت أبيه وبأسر أخيه ، طالباً السماح في معاودة القتال وإطلاق السراح . فسمح لسه بلاش ملك

إيران . فتوجه بجيش عظيم قاصداً قصد ملك الترك والصين . وأوفد إليه رسولاً ذكياً ينذره وبالقتال يعلمه ، وتبعه فعليه يحمّله . ثم قطع جيحون وأخذ يقتل كالمجنون أخذاً بثأر فيروز ويقتل الإيرانيين . فما كان من خشنواذ (خوش نواز) إلا أن وافق على طلب الصلح الذي نصّ على إطلاق قبّاذ وقائد العسكر أردشير ، وجعل جيحون فاصلاً بين الملكتين ، ورد خزائن وأموال فيروز . فاتفقوا وعن القتال وقفوا . وعاد قبّاذ إلى أخيه بلاش وسرعان ما استلم الحكم منه لضعف إدارته واضطراب حكمه .

آثر قبّاذ نشر السلام والجنوح إلى العدل . فبنى وعمّر وبعده وحسن حكمه بشّر ، حتى أصبحت سنة ثلاثاً وعشرين سنة .

أما سوفزاي الذي حكم شيراز ودانت له ممالك فارس ، أخذ يدلّ وبفضائله في إجلال قبّاذ على العرش يؤول . فاغتنمها الحاسدون فرصة ، ومن قلب قبّاذ اقتلعوا المحبة . فأرسل له جيشاً بقيادة سابور الازري بعلدما صالحه وعلى فرق جيشه نصّبه . فتوجه إليه طالباً توثيق يديه وإغلال رجله . فلما وصل وبأمر قبّاذ أمر . نزل سوفزاي تحت أمره وإطاعة ملكه . فجاء إلى قبّاذ الذي حبسه ومن ثم

عذبه . لكن أصحاب الرأي رجوه ، وبإطلاق سوفزاي
استشاروه . فما كان منه إلا أن تعنت وبهلاك سوفزاي
تمسك . فقام عليه الشعب وخاعوه ولابن سوفزاي سلموه .
ووضعوا مكانه أخاه جاماسب . لكنه عاد واستلم حكمه
بمساعدة ملك الهياطلة وابن سوفزاي المسمى بزر مهر الذي
لم يقتله ، بل أكرمه وخدمه وبجسن الأخلاق غمره . فأطلق
سراحه وتوجه معه إلى ملك الهياطلة . فترلا قبل الوصول
في بيت دهقان مشهور بالأصول في منطقة الأهواز . وكان
له بنت جميلة تفوق الحسنات حلاوةً وحيلة . فترجها
قبّاذ وتوجه طالباً المساعدة من ملك الهياطلة . فساعده
وعلى أهل بيته نصره . فاستلم الحكم من جاماسب دون
أن يُحاسِب . وأخذ يربي ابنه كسرى المولود من بنت
الدهقان ، على المحبة والإيمان . ثم رتبّ أمور إيران وبني
بيوتاً كثيرة للنار في بلاد الروم التي غزاها ثم حكمها .
فاستتب حكمه واستقر عهده إلى أن حصل في بلاده مجاعة
الزمتته التروي والاحتكام الكلي إلى رجل كان قد دخل
خدمته واشتهر بفصاحة لسانه وغزارة عقله ، وهو مزدك
الذي أشاع الاستيلاء على خزائن الأغنياء في وقت المجاعة .
فعمت القوضى وكثرت البلوى والسرقة . فتذمر قبّاذ للأمر ،
وأحضر مزدك للتشاور . فأقنعه هذا الأخير بصواب فعله

وسداد رأيه ، لأن الجائع كالملدوغ من سم الحية . فإن
أعطي له الترياق شفي . وكذلك الجائع إن وجد الطعام
فيسرقه . فتعجب قبّاذ من رأيه وجعله مستشار أمره .
فعلا شأنه بين الناس ، ودخلت تحت إمرته الآلاف .
فانتشرت تعاليمه . وخالف الأنبياء . وأنشأ لنفسه ديناً
جديداً عُرف بالزردكية قوامه الإباحة ، خصوصاً إباحة المال
والنساء ، لأنهما سبب كل علة وأصل كل ضريبة تنزل
بالإنسان . فإن أشيعاً قُصمت الأخلاق الشيطانية والشهوات
النفسية مثل الغيرة والحقد والغضب والفقر .

وكان مزدك يعرف قيمة نفسه وعلو شأنه عند قبّاذ .
فاجتمع به مرة وأطلعه على عدم دخول ابنه كسرى في
دينه . فما كان منه إلا أن طلبه ، وفي دين مزدك أراد
أن يُدخله . فاستمهله هذا الأخير وأجابه بعدم التغيير ،
إلا بعد أن يستشير علماء وكهّانَه . فاستشارهم وذهب
معه إلى حضرة قبّاذ . فتجادلوا وتناظروا مع مزدك
قائلين : « أيها الرجل ، قد أثبت بدين ضللت فيه
العابدين ، فأشاعتك للمال والنساء ، تستلزم الاحتكام للعلماء
لاختلاط أنسابهم وعدم معرفة أحوالهم . فالوالد لا يعرف
ولده . والولد لا يعرف والده ولا يُعرف الكبير من الصغير

كسرى أنو شروان

كان كسرى يُلَقَّبُ : «أنوشروان» أي النفس السعيدة .
وكان لقبه يوافق عهده . فلما استلم فاق أجداده في بذل
الكرم وتوطيد الحكم . وقسم ممالك إيران ورتبها ، ونظم
زرعها واستوفى ضريبتها بعد قسمة عادة نالت الجميع .
ففاقت شهرته وذاع صيته وانتشر عدله بين الخلائق حتى
دانت له كل الملوك من الشرق إلى الغرب . وفي عهده
ولد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم إنه رتب العسكر وسلم زمام قيادته إلى رجل عاقل
يسمى بابل . وأمر ببناء قصر شاهق ، ليشرف منه على
الفرسان وأشجع الشجعان . فلما تولى أمره بابل . طلب

والوضيع من الشريف . وإذا مات الانسان لا يدري من
يرث طارفه وتالده ! وإذا استوا ، فمن يبقى للرياسة
ويترشح للسياسة ؟ . وظلوا على مناظرهم ، حتى بينوا
جهله وسفهوا رأيه . فتأب قباد ورجع إلى دين زرادشت ،
وسلم مِزْدَك وأعوانه إلى كسرى . فأخذهم وطمرهم في
التراب رأساً على عقب . فلما رآهم مِزْدَك غشي عليه ومات
بعد أن صلبَ ورُشِقَ بالسهم . واستلم كسرى مكان
قباد الذي خجل من جهله وضلالة عقله . ففرق الأموال ،
وبنى بيوت النار تكفيراً عن خطيئته وكبر سيئته ، ومات
بعد أن عاش ثمانين سنة .

حضور كل الكبار من الفرسان وغير الفرسان أكثر من مرة . ثم كان يصرفهم بعد ذلك . فلما علم كسرى بالأمر . لبس درعسه ، وحمل سيفه ، وركب سرجه ، وغطى وجهه ، ومرت أمام بابك عارضاً نفسه بأشجع الحركات . فتعجب بابك من أمره وزاد من مرتبه . فضحك كسرى للأمر وأقر لبابك بالمعرفة وطول العمر . فقربته لنفسه وزاد من أعطياته . وحته على طريق الاستقامة وأخذ الأمور بالتروي والمهادنة .

وأراد كسرى أن يطوف في أنحاء ممالكه لينظر في أحوال رعيته . فخرج مع عساكره إلى جهة خراسان . فعبّر على جرجان ثم سارية وآمل . وتوقف في أرض خضراء يكثر فيها العشب والماء . فسرّه المنظر لروعته وعذوبة هوائه . ولما أراد أن يقيم ، وجلسه في تلك الناحية يستديم . حذّره أعوانه وكبار قواده من هجمات الأتراك على هذا المكان ، لأنه الممر الوحيد لهم إلى إيران . فأمر بسد الطريق بسور عظيم حصّته وبوّه وبأبراج طوقه ليأمن المنام لسكان ذلك المكان . ثم ركب البحر إلى ممالك الان الذين أطاعوه وبهدياتهم أتخفوه . فأكرمهم وأحسن اليهم . ثم أدب أهل كرججان من بلاد الجبل لشربهم وسوء خلقهم . فأطاعوه

بعد أن أفنى الكثير منهم . ووضع عليهم قائداً من قواده . وعاد إلى المدائن حيث لاقى المنذر عامله على بلاد العرب . فاحتفى الأخير فيه بعد أن غار عامل قيصر خالد بن جبلة على بلاد المنذر . فاحتدم كسرى وأرسل يهدد قيصر الروم ويدعوه إلى الاستيقاظ من الغرور وتقدير عواقب الأمور . فبعث له الأخير رسالة يحطّ فيها من قدره ومن مكانة سلطنته . فسار إليه بعد الاجتماع بوزرائه وأصحاب رأييه . فوصل إلى أذربيجان حيث دخل بيت النار . ففرّق الأموال ونصح العبّاد . وتابع سيره حتى وصل إلى سوراب فذكّ سورها الشاهق بالحجارة والمجانيق ، ودخلها عاملاً السيف برقاب أهلها . وأكمل طريقه وأخذ قلعتين حصينتين هما عرائش الروم وقالينوس بعد أن قاتل قيصر وغلبه غلبة قضت على جنوده وآلات حربه . وظلّ سائراً حتى وصل أنطاكية . فحارب أهلها الذين رفضوا الطاعة . وظلّ على ذلك ثلاثة أيام حتى افتتحها ومن كنوزها وخزائن قيصر أفرغها . وأخذ أهلها أسرى ووضعهم في مدينة تشبه أنطاكية بناها خصيصاً لهم قرب المدائن . ثم فاوض رسول قيصر الذي جاء طالباً السلام وإحلال الأمان . فوافق على أن يدفع له خراج كل سنة ملء عشرة من جلود البقر ذهباً ،

الدكان ليسأله تفسير منام رآه كسرى ، أعيان المنجمين
تفسيره والفلكيين تحليله . لكن صاحب الدكان ما عرف .
وبخضرة كسرى ما شرف . فعرف بُزرجمهر تفسير
المنام ، ولم يرضَ بقوله إلا لصاحب الأمان كسرى أنو
شروان . فتوجَّسه مع الوزير ليرى كيف يكون التفسير .
وبينما هما على الطريق ، تعباً ، فاستراحا تحت شجرة مورقة
الظلال عمرها أجيال . فنام بُزرجمهر تحتها ، ونزلت
منها حية شتمته ولم تلسعه . فتعجب الوزير للأمر ، وأخبر
كسرى ببزرجمهر . فاستقبله كسرى وفسَّر له المنام الذي
أعيان الحكام . فاتصل به وجعله من علمائه حتى استطاع
بلسانه وخصب عقله من أن يصير كبير العلماء وأعظم
الأمراء . وكان كسرى يحبه وعلى غيره يؤثره . فكان
إذا اجتمع ، بحضور غيره ما اقتنع . فهو المحدث والحكيم
والمفضل بن الجميع . فلسانه لا يفتأ يتكلم إلا عن العقل
والصبر والانتباه للأمر ، حتى أصبح الملك لا يستريح
إلا بسماع بدائع حكمه وروائع كلمه . فأفاض عليه النعم
لما قاله من حكم . وأعطاه في ليلة ما مقداره أربعمئة
ألف درهم .

وكما جرى لبزرجمهر كذلك جرى للوزير مهبوذ الذي

وتابع طريقه إلى الشام فالأردن بعد أن نصب على أنطاكية
الجليلة نصرانياً من الأهواز يدعى شيرويه .

وكان لكسرى زوجة نصرانية حملت منه ولداً سماه
نوشزاد . فلما نشأ وكبر . مال إلى النصرانية دون الزرادشتية.
وخرج بثلاثين ألف فارس من جنديسابور التي هي مقر
حكمه ومكان نشأته ، لمحاربة والده كسرى لما سمع بمرضه
وشدة وطأته عليه ، داعياً بشعار قيصر واتباع دين المسيح .
فعرف والي المدائن وراسل كسرى معلماً إياه بخروج ابنه
عن طاعته . فطلب منه قيصر أن يجهز جيشه لمحاربة ولده وتأديبه
إذا لزم الأمر . داعياً إياه إلى إراقة الدماء في جيش الأعداء.
وإذا صادقه ولده دعاه ألا يرحمه ، فالقتل إذا لزم وعدم
الساح إذا ندم . فتوجه والي المدائن مع جيشه إلى
جنديسابور ، ولاقى نوشزاد وأصابه بالنشاب . فرجع يبكي
ويئن وإلى والدته يحن . طالباً منها التسييح ودفنه على
دين المسيح . ثم تنفس وخرجت روحه . فدفنوه كما
طلب .

واتصل بكسرى في ذلك الوقت الحكيم المشهور والغلام
المغمور بُزرجمهر . فقد كان غلاماً يعمل في خدمة
صاحب دكان للتنجيم . وكان وزير كسرى قد قصد صاحب

أحبه كسرى وأبعد عنه البلوى . فعامله بالإحسان وأنعم عليه الخيرات . وكان أنو شروان لا يأكل طعامه ولا يشرب شرابه إلا من مطبخ الوزير . ولا يقدمه له إلا ولدا الوزير اللذان كانا يلازمان خدمة الملك . لكن الحسد أعمى والشر بلوى ، وقلب الحاجب زروان يطفح بالحُمى التي أكلت جسده من نثار الحسد ولهب الجسد . فكان يتحين الفرص للإيقاع بمهوذ . لكنه ما استطاع لثقة الملك فيه ومحاولات مهوذ ليتقيه . فلجأ إلى السحر بواسطة يهودي كان قد قصده في خدمة لدى الملك . فأخبره بحسده واطلع على خطته القاضية بإخباره عن طعام كسرى . فإن كان فيه لبناً ، نظر اليه راقياً عليه . وفي ذات صباح أحضر الغلام طعام الإفطار . فكان لبناً وشهداً وماوردأ . فنظر إليه اليهودي قبل تقديمه لكسرى الذي ما أن تهباً لشربه ، دخل زروان وحذرته من اللبن المزوج بالسّم . فتقدم ولدا مهوذ وشربا منه فاتا للحال . فهبّ كسرى واقفاً ونحو قصر مهوذ جارياً . فقتله وأهله منتقماً لفعله . ثم خصّ الحاجب بأعلى المراتب . فأمنه ووثق منه ، وبكل الهدايا والخيرات أنعمه . لكنه عاد وشكّ فيه في محاولة بين جالسيسه . فقد تكلموا عن السحر والرقى بالنظر . فساورت كسرى الظنون ، خصوصاً بعدما تذكر ما كان

بين الحاجب والوزير . فأحضر زروان وذكر حديث الألبان . فتتعت في كلامه مُحدثاً بسره . فسجنه الملك وبعث في طلب اليهودي الذي ما أن جاء ، قصّ القصّة على الجلساء وأكابر العلماء . فأمر الملك بصلبه مع حاجبه . فقصلياً ورشيقاً بالسهم قصاصاً لفعلةتها . أما كسرى فقد ازداد ندماً ، وبحث عمتن وجِد حياً من عائلة الوزير فوجد ابنته وبعض رجاله . فأكرمهم وأحسن اليهم وفرّق عطاياهم على الفقراء ثائباً على فعله وتسرع عقله .

ظلّ كسرى ينشر الرحمة وينظر في أمور الرعية . ففاض عدله واشتهر اسمه في إيران وتعداها إلى توران . فسمع به الخاقان وبأفعاله العظام . فأحبّ أن يتقرب منه ويسأل عنه . فبعث اليه مع الرسول أרטالاً محملة من الهدايا والكنوز . لكن غاتفر ملك الهياطلة ، لم يرض بهذه المصادقة لأنها تضره ، وملكه تسلبه . فأغار على الرسول ونهبه من المحمول لما مرّ من أرضه متجهاً إلى إيران . فجمع الخاقان جيشاً للثأر من غاتفر . فالتقوا على مايّ مرغ . فتلاطموا وتلاحموا لمدة أسبوع . ولما كان اليوم الثامن خفقت رايات الخاقان بالظفر ومني الهياطلة بالكسر . فارتدوا إلى مناطقهم ، ونصبوا ملكاً جديداً يدعى فغانيش ، وقرروا إرساله إلى

كسرى لطلب المساعدة وامداد المعاونة ، لكن هذا الأخير لما علم بانتصار الخاقان وانكسار الهياطة بالرغم من كثرة عددهم وقوة جيشهم . جمع قواده ووزراءه للتشاور والتداول في أمر الخاقان . فنصحوه بالمهاطة مؤننين الهياطة لأنهم لاقوا جزاء فعلهم وطول يدهم . لكن كسرى أنهمهم بالجبن وتشمر لمقاولة الخاقان . لئلا يفرض الأخير أنه ارتعب منه وفرع بطشه . فتوجه بجحافله إلى جرجان عازماً كسر شوكة الخاقان ، الذي ما ان سمع بقدمه وقوة أسوده حتى أثر الملاينة وارضى المسألة . وبعث اليه برسول يسأله المصادقة ويخبره عن ملك الهياطة لما اعترض رسوله المحتمل اليه بهداياه وأنفس عطاياه . فاستقبله كسرى منظره كرمه وحفاوته . وظلَّ عنده مدة شهر . ثم أحضره مع رسل الهند والروم وسائر البلاد ليشاهدوا قوته وشجاعته في منازلة الفرسان ومقاتلة الغربان . فلما رأى ذلك رسول الخاقان صُعق . ومن قوة كسرى شهق . ثم أحضره كسرى إلى قصره وأمره بأخذ رسالته إلى ملكه الخاقان ، الذي لما قرأها قرأ ما فيها من قوة الشوكة وعظم البطولة ، قرر مهادنة جانبه وتزويجه ابنته . وظلت الرسل تنتقل بين

الجانبين ، آخذة من كسرى سؤالاً ، وجالبة من الخاقان جواباً ، حتى قبل كسرى الزواج من ابنة الخاقان بعدما وافق العلماء وكبار الكهّان . واختار من أصحابه شيخاً عاقلاً يسمى مهران ستاذ . وطلب منه السفر إلى الخاقان لاختيار بنت من بناته تجمع بين كرم الحسب وشرف النسب ولا تنتمي إلى أولاد الإماء بل إلى أشرف الكبراء . فسار الرسول بموكب عظيم . فلما وصل أكرمه الخاقان وأعز مقدمه ، وأنزله في موضع يصلح له . ثم أدخله على بناته الخمس . فاختار واحدة ليست كغيرها فقد كانت بلا تاج ولا طوق ، متذكراً قول كسرى . قبل وداعه : « لا تغرنك الحلي والحلل بل اختر من كانت أرفع علماً وأسمح وجهاً واختلافاً عن غيرها » . فكانت التي اختارها بنت الخاقان من الخاتون الأصلية النسبية ، وقد كره الخاقان تزويجها لكسرى ، لحبها وأصالة نسبها ، فلما علم الخاقان باختيار الرسول ، شكاهم إلى الخاتون واجتمع مع المنجمين الذين بشروه بزواج سعيد وثمر مديد لإيران وبلاد توران . فوافق وأرسل ابنته بما خفَّ حمله وغلا ثمنه . فاستقبلها أنو شروان وعقد زواجه عليها ، وبالغ في إكرامها وإعظامها . ففرح الخاقان برضى كسرى وبسرور ابنته .

بزرجمهر والشطرنج وكسرى

لم يرضَ شكل ملك الهند بالتزام الخراج والدخول تحت طاعة كسرى . فأرسل له مع الرسول الهدايا وآلاف العطايا مع لعبة لم تكن معروفة هي الشطرنج ، قائلاً له مع رسوله : « إذا استطعت أن تحرك الأحجار وتعرف كيفية الإدبار ، ثم تضعها في مواضعها لغلبة أعدائها ، فأليك مني الخراج . وإن عجزت عن ذلك ، فلا تلزمونا الخراج والتزموه ، فحقّ عليكم أن تقدموا العلم ولا تنقدموه » . فسر كسرى بذلك واستدعى مفكّر دولته ومخلص شعبه بزرجمهر ، الذي وضع التّائيل في الصفوف . فوضع الشاه في القلب ، ورتب الدستور على اليمين ، ورتب الميمنة والميسرة ، وقدمّ الرّجالة أي البيادق بعد

فتنازل له عن سمرقند والشاش والسغد . فاتسعت بذلك رقعة ممالكه وعظمت مسؤولياته . فساس بالعدل والإخلاص . وحوّل الصحاري إلى جنّات والبور إلى عمران . وقطع دابر اللصوص فدخل الجميع تحت طاعته وقدّموا له الخراج من الروم والصين وسائر الأقاليم .

جمهور ملك الهند ، الذي توفي وترك ولداً اسمه جو . وتزوجت الزوجة من سليفها وأنجبت ولداً الثاني واسمه طلخند . فمات الزوج وترك الزوجة تأمر وتنتهى وتدير الهند إلى أن يكبر الولدان ويستلم أحدهما الحكم . وكانت كلما سألاها من سيتولى الحكم من بعدها أجابت : « من كان منكما أرفع أدباً وأعظم خلقاً ، وليته أمور الهند وبلاد السند » . فلما كبرا والحكم سآلاً ، فضلت الوالدة الأكبر على الأصغر لكبر سنه ورجاحة عقله وحسن خلقه . فلما أفضت بذلك إلى طلخند أبى أن يحكم غيره ، وعلى العرش يجلس شقيقه قبله . فتركت الوالدة الأمر للوزراء للتشاور مع العلماء أمام الملكين المتنازعين . فلما سألوا الجلساء تحزبوا وفضلوا لكنهم لم يقرروا . فتقدم جو ونصح طلخند بالاعتدال والموافقة والتمثل بما عمل أبوه مع عمه حين ترك له ملك الهند . لكنه رفض وأعمال أبيه نقص . فاستعد الأخوان لبدء القتال فقسم القواد الجيوش إلى ميامن ومياسر ومقانب ومناسر ، وقدّموا الرجال أمام الفرسان في آلات الضراب والطعنان ، وأسرجوا القبيلة لركوب الملكين . لكن جو قبل أن يبدأ ومن جيش أخيه يهزأ ، راسل طلخند ثلاث مرات داعياً إياه إلى تجنب القتال وعدم إراقة الدماء ، طالباً منه معاونته ومؤازرته ضد

أن أقام على كل طرف من الرقعة مبارزاً أي الرخ ، ورتب القيل والفرس من جساني الشاه . فسوى صفوفها حتى تقابلت وتوازت مثل الصفوف المعبأة يوم اللقاء . وظل بزرجمهر في تفكيره بالأمر ، بعدما عجز العلماء عن استخراج كيفية اللقاء والتخلص من الأعداء . حتى استطاع أن يستخرج طريقة لعبها وفك رموزها بعد أن وضع بفطنته وذكائه نرداً من خريزتين من العاج منقطتين بالساج . فلما انتهى ، قصد أنو شروان الذي أكبر أمره وأعظم قيمته وأرسله مع رسول ملك الهند بلعبسة جديدة تسمى النرد . طالباً منه فكها ، ومعرفة طريقة لعبها . فإن عرف أخذ الهدايا والنفائس . وإن لم يعرف وضع فوقها (أي الهدايا) ما مائلها وأرسلها إليه . فاستقبله ملك الهند ونزل مع علمائه وكبار حكمائه في حل النرد . فلما انقضت المدة المعينة ، جاؤوا إليه معربين عن عجزهم وعدم قدرتهم في معرفة الطريقة للوصول إلى الحقيقة . فدلّهم بزرجمهر على الطريقة الصحيحة للعب النرد . فأنثوا عليه كل ثناء وودعوه بكل بهاء ، مرسلين معه الخراج وطلبات أنو شروان مهئين الملك بعالمه بزرجمهر .

أما الشطرنج فوضعت في بلاد الهند تلبية لرغبة زوجة

الأعداء ، مقترحاً عليه تقسيم الأراضي بينهما . لكن طلخند تعنت وبرأيه تشبث ، وأمر جيشه بالهجوم طالباً منهم - عكس أخيه جو - سفك الدماء كأنهم أعداء . فلما تراخفوا وتلاقوا ، غلب جو وطلب من طلخند العودة إلى الإيوان ، الذي ما أن عاد واجتمع جنوده عليه حتى عاود القتال طالباً النزال . فلاقاه جو على ساحل البحر . وحفر كل واحد منهما حوالى عسكريه خندقاً ، ألقى فيه الماء . ثم لأنهم التقوا ، وجرت بينهم وقعة عظيمة قتل فيها جنود طلخند . فلما رآهم مجندلين ، بين الصحراء والخنسديق مقتولين . خرجت روحه من الأسف والهم وهو على فيله . فتقدم إليه جو واحتضنه وبكاه ، آخذاً إياه إلى والدته التي ما أن رآته ميتاً لطمت وندبت وانتحبت كثيراً . وقامت لترمي بنفسها إلى النار . لكن جو سارعها ومن النار أنقذها . فعنفته ووبخته على ما فعل بأخيه . فحلف وأقسم وعلى روح أخيه ترحم ، بأنه لم يقتله ، بل طلعت روحه ليما في قلبه من حقد دفين وكيد أليم . فصدقته وطلبت منه عزاءً لوحدتها وكبر مصيبتها أن يمثل لها الواقعة كما جرت على رقعة . فجمع علماء الهند وأخبرهم بما جرى في الحرب . فتشاوروا وفكروا واستحضروا الأبنوس وعملوا تخناً صوروا فيه مائة بيت . ثم عملوا

من الساج والعاج صورة شاهين معتصبين بالتاج مع جنودهما وخيولهما وأفيالهما . ثم صفوها صفوفاً فجعلوا كل واحد من الشاهين في قلب عسكريه ، وعلى يمينه وزيره ، ووضعوا إلى جانب كل واحد منهما من الميمنة والميسرة فيلين يتنقلان في ثلاثة بيوت . وجعلوا دون الفيلين جملين عليهما راكبان ، ودونهما فرسين عليهما فارسان ، ودون الفرسين رخسين كأنهما مبارزان يركضان بمئة ويسرة ، ولا يقف قدماهما أحد . ورتبوا الرجالة مصطفين أمام الكل . وكلما انتهى واحد منهم إلى آخر المعرك صار في مرتبة الوزير ، يقعد بجانب الشاه ويختلف بين يديه . ثم كل واحد من هؤلاء المقاتلين إذا رأى الشاه في بيت صاح وأشار إليه بالإحجام والتنجي من ذلك البيت . ثم ان أحد العسكريين غلبوا فسدوا الطريق على الشاه . فنظر فرأى عساكر العدو قد أحاطوا به من كل جانب ، وسدوا عليه كل مسلك فقات من الهم والأسف ما بين المعرك .

وكان لكسرى في قصره وتحت أمره ، طبيب ماهر وحكيم باهر هو برذويه . استأذنه مرة في الذهاب إلى أرض الهند لجلب دواء مصنوع من حشيشة ، وكان قد قرأ عنها . هذا الدواء يعيد الإنسان من عالم الأموات إلى

الأحياء . فاذن له وحمله التحف الوافرة والهدايا الباهرة ملك الهند . طالباً منه مساعدته وتسهيل أمره . ففعل ملك الهند ووضع علماءه وحكماءه تحت خدمة برذويه . فجابوا الجبال والسهول والوديان بحثاً عن الحشيشة ، فيما وجدوها . فرجعوا خاسرين وحزنهم مظهرين . فطلب برذويه من ملك الهند أن يأتيه بالأوفر علماً والأكبر سنناً والأوفر فضلاً ليسأله ، وعن سر الحشيشة يفهمه . فلما اجتمع به دله على كتاب كلية ودمنة الموجود في خزائن ملك الهند . لأنه — أي الكتاب — بمنزلة الدواء إلى المريض ، كما هو بمنزلة النور إلى الجاهل . فطلبه وأخذ يطالعه . وكان كلما انتهى من فصل ، كتبه بعدما حفظه وإلى انو شروان أرسله . فلما انتهى منه رجع إلى كسرى . فبذل له الهدايا وقدم العطايا . لكنه لم يختر منها إلا ما ستر جسده وكفى نفسه . وطلب من كسرى أن يتفضل بزرجمهر عند تحريره الكتاب ، أن يخص له باباً يشتمل على ذكره وسيرته . ففعل ومن ثم في وقت لاحق نقل الكتاب إلى العربية عبد الله بن المقفع .

ولما كان كسرى يحب الصيد متحرراً من كل قيد . فقد خرج مع بزرجمهر لاصطياد الغزلان والأوعال . فلما

انتهى وقد نعس ، نيام في حجر بزرجمهر على أرض معشبة ملأتها الخضرة . وبينما هو نائم إذا بطائر أسود يخطف أسواره ويقتلع جواهره . فتطير بزرجمهر من ذلك وأصبح كالأسود الحال� . فلما استفاق كسرى ورأى ما هو فيه من تغير المزاج ، ظن أن ربحاً هوجاء وعاصفة موجاء قد هبت وهو نائم . فعنفه وأنبه وعن تفكيره بأنه يستطيع أن يغير أحوال الطبيعة ، شتمه . ثم اتجه إلى قصره وهو غاضب ، وأمر بسجن بزرجمهر والامتناع عن المثل في حضرته . فبقي على ذلك مدة وزاد في سجنه حدة . لما كان كسرى يسأل عنه فيجيبه بواسطة قرين كان يخدم الملك . بأنه أحسن منه حالاً وأكبر مقاماً . فاستشاط كسرى غضباً وامتلأ غيظاً . وأرسل كاهنه مع صاحب سيفه ليسأله عما يعني وهو في حبسه من الشدة والضيق . فأجابه : « كل شيء له نهاية حتى ولو كان بدون بداية ، فعَلَامَ التكبر والتجبر وزيادة التأمر ؟ مع العلم أنهم سيتهون بانتهائك وسأخرج بعد ذهابك » . فتعجب كسرى لقوله ولطول صبره . فأفرج عنه وسأحه . ثم استدعاه ليكون منجاء بعد عجز الآخرين ، لما بعث له ملك الروم صندوقاً ما فيه غير معلوم ، جعله شرطاً للالتزام الخراج ، إن هو حزر ما فيه وفك عن أسواره . فحضر بزرجمهر وأثنى

على الملك الذي ندم على فعله خصوصاً بعد كَفِّ بصره .
 وطلب منه حل اللغز وفك الرمز . فأخبر الملك أن في الصندوق درراً ثلاثاً . إحداها منقوبة ، والثانية نصفها منقوب ، والثالثة بكر لم تثقب . وكان قد عرف السر وهو قادم على الطريق . لما التقى بامرأة لها زوج وولد .
 وثانية لها زوج وليس ولد . وثالثة كانت عذراء لم تمسها يد إنسان . فتعجب كسرى منه وأزاح البلوى عنه بإكرامه وتعظيمه وبإظهار أسفه . فدعا بزرجمهر للملك وأخبره بحقيقة الطائر لما نام في المتصيد .

وكسرى ، كما نلاحظ ، الأمر الناهي والملك الباقي . فقد أخذ منزلة الوزير واستفرد لنفسه بوظيفة المشير . فهو المتصرف في كل مسألة والمدير لكل غزوة . فالعدل مجراه والبريء يأواه لسداد رأيه وكثرة وزرائه . فهو الحكيم مع الحكماء ، والكاهن مع الكهّان ، لذلك اشتهر اسمه وذاع صيته وحنّت الملوك رؤوسها ليكبر قيمته وعلو شأنه إلا ابن ملك الروم ، الذي توفي والده وأخذ مكانه . فلما بعث إليه كسرى يعزيه وعن حزنه يسليه . استشاط غضباً وامتلأ حقداً ، لأن الرسالة التي وصلته كتب عليها : « من كسرى إلى قيصر » . وكان يريد أن يبدأ باسمه

قبل اسم كسرى . فعنف الرسول واستقبله كالمسلول وأنزله بمكان غير مأمون . فما أن رجع ، حتى أخبر كسرى بعظم البلوى . فقرر الحرب والتأهب للضرب . وسار بجيوشه قاصداً حلب . فالتقى الروم الذين جساؤوا من عمورية . فتلاطموا وتزاحوا وضيق على كسرى الحصار . فبعث في طلب المؤونة والمال من مازندران . لكن بزرجمهر أشار عليه بالاستدانة قبل وصول الأمانة . فبثَّ رسله في البلاد طالباً الإمداد . فلم يستجب له إلا خفاف (اسكافي) سمع الطلب من الأطراف . فوضع أمواله وأرزاقه تحت تصرف الملك على شرط أن يُعَلِّم ولده الوحيد الأدب والخط وأسرار الفلك . فلما عرف كسرى استعظم الطلب ورفض تعليمه الخط والأدب لأن ابن المحترف إن تعلم غير الحِرَف ، وصار أديباً عالملاً ، غير عقله واستعظم أمره ، فلا يأتي منه إلا الحسد وتدبير الخطط . لذلك رفض طلبه ورد ماله وأتقذ نفسه من حيث لا يدري . فقد جاءه رسل الروم يطلبون السماح ويرجون لقيصر الإصفاح ، لأنه شاب لم يُدَرِّب . وعداء كسرى لم يُجَرِّب . وزادوا له الخراج أضعافاً والهدايا أحمالاً . . فسرَّ منهم وصفح عنهم ورجع منتصراً إلى طيسفون . فما أن ارتاح مدة حتى أفتقته الأمراض وتنازعت الأوهام . فاجتمع إلى بزرجمهر

وطلب منه مساعدته في اختيار خليفته من بين أبنائه الستة. وقد كان يفضل الأكبر هرمزد لكبر سنه وقوة بدنه ووفرة عقله وغزارة علمه وأدبه . وكان قد وضع له حُرَّاساً في السر يستقصون أخباره ويتبعون حركاته . فأخبروا والده بحسن سيرته في معاملة عشيرته. فعهد إلى بزرجمهر امتحانه.

اجتمع الحكيم المشهور بالخلف المذكور مع طائفة من العلماء والحكماء . وأخذوا يسألونه عن الحياة والمات والخلود والبقاء . وعن الرحمة والمعاملة والتلطف والمسايرة . وعن الشجاعة والقوة في مواجهة الأخطار وعبادة النار . فجأوبهم وبكلماته أسحروهم ، حتى أنهم تبادوا ومن حسن كلامه استزادوا . ثم أخبروا والده بتعيين الخلف بعد رجيل السلف. فأعطاه رسالة الخلافة طالباً منه تنفيذ الرسالة ، مُحافظاً على ذكر الإحسان الذي اشتهر به ملوك إيران وأوصاه بالبنیان والعمران وخدمة كل ممالك إيران ، وبالعدل والطاعة، ومد العون إلى الفقراء والمحتاجين والنظر في شؤون المساكين. مُتَّخِذاً العقل في تحكيم الأمور وتقبل الشكاوى بكل سرور.

ظهور بهرام الملقب بجوبين

استلم هرمزد عرش إيران بعد وفاة كسرى . فحكم بالعدل والإنصاف ، لكنه عاد وتغير إلى الإجحاف . فبدأ القتل والتنكيل مُبتدئاً بوزراء أبيه . وكان من بينهم كاتباً داهية في المعاملة والمسايرة . فسجنه ومنع عنه الطعام. فاشتكى الأخير إلى كبير الكهّان الذي خالف أمر هرمزد وأخذ له من الطعام ما أراد . فلما عرف الملك ، قتل الأول وأطعم الثاني طعاماً مسموماً ، أهدر روحه وأطفا عقله . فعمَّ الظلم البلاد وقتل الكثير من العبّاد .

ثم ان هرمزد أراد القضاء على سيمياه بن برزین . فأحضر صديقَ سيمياه الأمين . وطلب منه أن يشهد ضده حتى يستطيع أن يحبسه ويخرس صوته . فلما اجتماعا وأخذ

يسأل عن أخبارهما ، قام الصديق بهرام ، وشهد ضد سمياه ووجه لأنه تمسك باختيار هرمزد ولياً للحكم بعد كسرى. فأدت شهادته إلى حبسه ومن ثم إلى قتله ، بعدما زاره هرمزد مخبراً إياه بقتل سمياه ، طالباً منه إخباره عن السر الذي أخفاه . فأعلمه بأن في خزائن كسرى ، صندوقاً يزيح عن شعبه البلوى . فلما أحضره وقرأ ورقته القاضية بزوال عهده على يدي أقارب زوجته بعد اثني عشر سنة ، قتل بهرام بعدما سجنه وعذبه .

لكنه عاد وأصلح نفسه ، مغيراً حكمه . فأخذ يطوف في البلاد داعياً إلى نشر المحبة ، وبث الشكوى حتى ولو كانت عن طريق ابنه . فقد كان له ولد يُدعى كسرى ويلقب بـبرويز . دخل فرسه مرة إلى حديقة كبرى . خرب أرضها وأكل زرعها . فشكاه صاحب الحديقة إلى هرمزد الذي قطع أذن الفرس وذنبه . وعوض على صاحب الحديقة بمال كثير . فاشتهر هرمزد بحامي الضعفاء والفقراء وقاصم ظهور الأغنياء والأقوياء . وظل حاكماً وظل العدل ناشراً ، إلى أن تآلبت عليه الملوك من جميع الحدود ، فخرج ملك الروم بالآلاف . والحقان ساوه شاه بعشرات الألوف . وملك الخزر وملك العرب بأعداد كبيرة وآلات

عديدة كلهم يريدون ملكه ويعملون ضده . فاجتمع مع الوزراء والقواد ، عليهم يصلون إلى قرار ويجبرون أعداءهم على الفرار . فقال له وزيره : « ضد هذه الأعداد لا يمكنك الإمداد . حتى ولو كان جنودك كالأسود وفرسانك كالسدود . والرأي أن تجنب إلى السلام في موضع ، وأن تنازل البعض في موضع » . فعمل هرمزد بكلامه وتراسل مع ملك الروم طالباً منه السلام واعداً إياه بالأراضي التي أخذها كسرى منه . فانكفا الأخير إلى ملكه واستكفى بحكم شعبه . أما ملك الخزر فقد أرسل إليه قائداً يُدعى خراد ، فأهلك بلاده كأنه الجراد . ثم استولى على أرضه وأدخله تحت طاعته .

أما ملك الترك ساوه شاه فقد تربث قليلاً في أمره نظراً لضخامة عدده وعدده . وأخذ يستشير في أمره أصحاب رأيه ، ومنهم الشيخ الجليل والعالم الكبير مهران ستاذ الذي كان يعمل في خدمة كسرى . فأخبره بأنه لما ذهب لخطبة والدته ، (والدة هرمزد) بنت الخاتون من الخاقان ، لم يرض بترويجها إلى كسرى إلا بعد إطلاعه على أخبار المنجمين الذين أخبروه ببشارة ولد (هو هرمزد) يحكم بلاد إيران وتوران بمساعدة فارس بطل يلقب بجوبين . ففرح

لكنه لم يجده لأنه تمكن من القلول . ثم بعث بمفاوضيه إلى بهرام يسأله السلام والانقلاب ضد ملك إيران . لكنه لم يذعن وبإغراءات ساوه شاه لم يكن . فهباً نفسه للقتال وحلم بالتزال فرتب جيشه وقسمه ووضع في كل قسم ثلاثة آلاف فارس ، ليواجهوا أربعين ألفاً في ثلاثة أقسام مقابلة .

ولما كان الصباح بعد ليلة كثر فيها شرب الأقداح ، تقابل الجيشان . فتقدم ساوه شاه بفيه ناوياً دعس أعدائه بأرجلها . لكن بهرام تصدى لها وبنصاله أصابها . فدخلت خراطيمها وأصاب آذانها . فهاجت وماجت وإلى الورا عادت . فمضى بهرام وجنوده وراءها وقتلوا مع القبيلة أصحابها . ثم توجه جوبين نحو ساوه شاه الذي كان يراقب المعركة كأنه في مصيدة لضيق المكان بكثرة الفرسان . فنازله وبسهم اخترق ظهره ، أصابه . فمات للحال بعد فقدته كل الرجال الذين انتشروا بالصحراء مخضبين بالدماء . فلما تم لجوبين ما أراد جلس ليستريح ، ومداواة جسمه الجريح . فجلب له الجنود ساحر ملك الترك الذي أظهر له ليلة المعركة رؤيا ظن فيها أنه هالك لا محالة . فأمر بقتله واجتناب شره . ثم أرسل إلى هرمزد يعلمه بالأخبار

هرمزد وأرسل في طلب المبعوثين للعثور على جوبين . فوجدوه حاكماً على اربيل . فجلبوه وفي حضرة هرمزد وضعوه . فأكرمه وأعز مقدمه وسلمه جيشه وأمره بمحاربة ملك الترك والصين وإثبات ما تنبأوا به عن جوبين . فاختر اثني عشر ألف فارس ممن حنكتهم التجارب ونجذتهم النوايب . لا يزيد عمرهم عن الأربعين ولا يصبح تسعة وثلاثين . وذهب لقتال ساوشاه بعدما أهداه هرمزد علماً على شكل ثعبان وودعه لقتال الخاقان . ثم سار وجاوز إقليم طيسفون . فرآه الرسول الذي أرسله هرمزد سرّاً لتتبع أخباره بعدما شك بحاله . فرجع إلى هرمزد وأخبره بصحة شكوكه وحقيقة أخباره ، خصوصاً بعدما قتل بهرام جوبين رجلاً من أتباع ملك الصين ، ولم يقل « بسعادة الملك » . فها كان من هرمزد إلا أن أوفد رسولاً إلى ملك الترك ليتعرف على أحواله وينظر في أعداده . فتوجه ومر بجيش بهرام وأخبره بذهابه إلى الخاقان . ثم تابع طريقه ووصل مقصده . فاستقبله ساوه شاه بعدما قدم له هداياه .

في هذا الوقت ، كان بهرام جوبين قد قدم ، وفي ضواحي أراضي ملك الترك خيم . فأرسل ساوه شاه ابنه مستظلاً . فجاءه بأخبار الحرب منذراً . فقام ليقتل الرسول

وكيفية الانتصار . ففرح الأخير وأمر بنثر الدنانير . وفرق على الفقراء ، وأفاض على الصلحاء وعمرّ المعابر وبيوت النار وأرسل إلى بهرام يؤذنه بقتال ابن الخاقان بعدما غمره بالجليع وبالنفاس البِدع .

أما برموزه ابن الخاقان فقد خرج بجيش جرّار للنار من قاتل أبيه بعد لوم معاونيه . فعبّر نهر جيحون ولحق بهرام الذي كان يتصيد في أرض واسعة كالسهول الشاسعة . فلما عرف بقدوم ابن الخاقان، فاجأه بالخيالة وتمكن من جنوده بسهولة . وهرب برموزه إلى قلعة حصينة تسمى أواذ كانت ملجأً لآبائه، ومفرّجاً لأجداده . فوكل بهرام صديقه يلان . وأمره بقتل كل من يصادف طريقه ويعترض جيشه . ففعل يلان بما أمّر حتى اقترب من القلعة وتمكن من حصارها وأجبر ابن الخاقان على طلب الأمان . فكتب بهرام بذلك كتاباً إلى هرمزد ، وأرسل إليه رسولا . فلما رجع عرف جواب هرمزد بتجهيز برموزه وإرساله إليه . فذهب بنفسه واستلم القلعة . فلما خرج ابن الخاقان تكلم مع بهرام بجفاء وكبرياء مما أثار غضبه وأشعل لهبه . فأمر به مقيداً وبالسجن منزلاً . فلما مرت بضعة أيام تحادث معه الكتاب وأشاروا عليه بفتح الباب لتلا يغضب هرمزد . فأطلق سراح برموزه

ونزل في خدمته سائلاً إياه السماح ، والتكلم عنه بالإحسان لما يصل حضرة هرمزد . ثم ودّعه ودخل القلعة . فدّهِش من محتوياتها وكثرة نفائسها . واختار لنفسه ما كان لسياوخش وأمر بحمل الباقي إلى هرمزد .

وصل الخاقان إلى حضرة هرمزد فاستقبل بالترحاب كأنه من الأصحاب . وكان الحرب التي وقعت زادت عناصر الصداقة وجعلتها من الصحابة . وجلس هرمزد على عرشه ليتفحص الأحمال التي حضرته والأخبار التي وصلتته عن بهرام بأنه استصفى المغنم وأخذ أحسن المكاسب ثم جلس مع الخاقان ، وجددا عهد الأمان . ووعد الخاقان هرمزد بالدخول تحت طاعته والعمل على خدمته مهما ظلّ على عرش الصين حتى ولو حاربه جوبين . ثم ارتحل من أرضه واتجه إلى قلعته . فمرّ ببهرام الذي استقبله مع الأعيان . لكنه لم يلتفت إليه ولم يصرخ عليه . كأن شيئاً لم يحدث بينه وبين بهرام .

ثم إن بهرام رحل إلى بلخ واستلم رسالة من هرمزد مدبّجة بالكلمات العنيفة والعبارات الشنيعة ، يوجّه فيها على الغرور بنفسه ، والحصول على أحسن المغنم لنفسه مُرسلاً مع الرسول قميصاً من الشعر ، وسروالاً أحمر ، ووعاء فيه

قطن ومغزل إلى غيرها مما يصلح للنساء . فلبسها بهرام وجلس في الإيوان وأدخل عليه الأعيان وكبار الزمان لبروا فعمل هرمزد وظنه به ، هو البطل المغوار والفارس القهار . فوخبوا هرمزد على سوء ظنه وعيب فعله ، وخرجوا من عنده بعدما أخذ يُظهر ولاء الطاعة لاسلطان ، ويدعو غيره إلى عدم إشاعة القوضى وتجنب البلوى . وذهب بهرام مرة مع رجاله وأعوانه للصيد . فاصطادوا ووراء حمار وحشي ركضوا . فأمر بهرام رجسالة بترك الحمار الوحشي له . فركض وراءه وجرى خلفه حتى وصل إلى قصر باهر كأنه لساحر . فدخله واستقبله أهله . ولما تأخر عن الرجوع ، انشغلت عليه الجموع . فلحقه يلان إلى القصر الذي دخله . فدخله ورأى بهرام جالساً في إيوان ، حوله امرأة متحلبة بالحلى ، وغلتمان قصار كأنهم أقمار . فلما أحست المرأة بدخوله ، أبعدته عن بابها دون أن يرى فعلها . ثم خرج مع بهرام الذي تغير حاله وامتقع لونه . فلما سأله يلان ما به ، أجابه بكبرياء كأن به داء . فلما وصلا إلى الجموع ، لم يتكلما عن الموضوع . بل أمر بهرام بإقامة إيوان كالذي للشاه . ثم أخذ يأمر ويظفي ، وعلى كل شيء لا يرضى . فتنبه أعوانه للأمر وأخذوا يهربون بالسر . فهرب خرد ابن برزین مع الكاتب إلى حضرة هرمزد . فوصل الأول ،

ولم يصل الثاني . لأن بهرام عرف بأمرهما وأرسل جنوده خلفهما . فقبضوا على الكاتب وفرّ خرد . ولما رجع إلى حضرة بهرام سأله عن سبب الفرار . فأجابه واضعاً اللوم على خرد بن برزین الذي راوغه في الهروب من خدمة جوبین ، بعد تغير حاله واستعلاء نفسه . فسأحه ورجع إلى خدمته .

وصل خرد إلى حضرة هرمزد وأخذ يخبره بأحوال بهرام ، وتغير نفسه بعد الوثام ، خصوصاً بعد رحلة الصيد . فتعجب هرمزد من تصرفاته . وأرسل في طلب المنجمين لإيضاح أخبار جوبین . فأخبروه عن حادثة الصيد ، بأن حمار الوحش هو الشيطان الذي قتاده للمرأة الساحرة التي منته بالسلطنة وحكم الملكة . لذلك تغير حاله واستعلى نفسه . ونصحوه بتدبير خطة لاسترجاع عسكر جوبین ، لأنه لن يطيع بعد اليوم أمره ، ولن يسير معه . ثم أتاه رسول بهرام بسلة مملوءة خناجر . فكسرها وردها إليه . فلما أرجعت إليه مكسورة ، جمع قواده وأعوانه واستشارهم في خلع السلطان والجلوس على عرش إيران . فزينوا له الأمور وزادوا نفسه بالغرور ، إلا أختسه التي دعت إلى تجنب المغامرة وسلوك طريق المسيرة والمسالمة . ثم وجهت

كلامها الى القواد والأعيان . فأنبتهم وعلى جراءة أفكارهم
 حقّرتهم داعية إياهم إلى عدم التفكير بالتاج لأن أخسائها
 ليس من سلالة الملوك ، ولا يجوز له أن يسلك هذا
 السلوك . لكن بهرام كان قد اقتنع برأيه ، وأخذ يدبر
 لخطته . فكتب إلى الخاقان يعتذر منه ويسأله الصفح عنه .
 ثم سكّ نقوداً باسم كسرى برويز بن هرمزد ، وأخذ
 يتعامل بها . وكتب إلى هرمزد يعلمه بالخروج عن طاعته
 والانضمام إلى ابنه (أي إلى كسرى برويز) . فلما رأى
 هرمزد النقود ، وقرأ رسالة بهرام ، تغير رأيه على ولده
 وظنّ أنه خرج عن طاعته . فبعث أعوانه لقتله والتخلص
 من جثته . لكن برويز تنبه لأمر قتله ، وفرّ من بغداد
 لتخلص جسده . فلما صار في أذربيجان اجتمع عنده أكابر
 إيران ، مع أشجع الشجعان ، واضعين أنفسهم في تصرفه
 وعلّتهم في خدمته .

لما علم هرمزد بخبر فرار ولده، قبض على خاليه كستهم
 وبنديويه ، وجسهما مع أعوان برويز . ثم اجتمع بوزيره
 ومستشار أمره آذين كشب . فتشاور معه في كيفية إرضاء
 بهرام حتى يفرض السلام . فاقترح عليه مراسلته وطلب

مسألته . فإن لم يرض ، توجه إليه بجيش جرّار كالبحر
 الهدّار . ثم جهز جيشه وارتحل عن الملك تحسباً للأمر .
 وبينما هو في الطريق التقى بامرأة منجمة تخبر عن الأحوال
 الكائنة . فاستحضرها وخلا بها وأخذ يسألها عن أحوال
 الملك والعدو . وبينما هما في الحديث مرّ بهما رجل كان
 آذين كشب قد استشفع له ، فأطلق الملك سراحه .
 فتوقفت المرأة عن حديثها وحذرته منه لأنه سيقتله . وحتى
 يتخلص منه ، أحسن إليه، وأرسل معه رسالة إلى هرمزد
 يبلغه فيها قتل الرسول الذي يحمل المرسول . فحمّله وطار
 به . وبينما هو على الطريق ، فضّ الرسالة وعرف المؤامرة.
 فرجع إلى آذين كشب فقتله واجترأ رأسه وأخذته إلى
 بهرام . فلما رآه مع رأس عدوه ، لم يستحسن فعله لأنّه
 (آذين كشب) كان قادمًا لإصلاح الحال بينه وبين
 الملك . فأمر بهرام بذلك الرجل ، فصلبوه .

أما العسكر الذين كانوا مع آذين كشب ، فتفرقوا
 وعند الملك وبهرام وبرويز تقسموا . فهال هرمزد ما
 أصيب به وتفرّق عسكره فأغلق أبوابه وأطال حجابهِ
 حتى وقعت المصائب في المدينة ، وتحولت عن السكينة .

العدوان اللودودان

أما برويز فإنه لما استلم ، بالعدل والشدّة حكم . فاشتهر
صيته وذاع اسمه وكان عهده من أحسن العهود التي مرت
على ليران .

ذات يوم دخل على أبيه طالباً السماح لأنه راح مُعْتَذِراً
على ما بدر منه . وأنه إذا حرب فلحفاظ رقبته وسلامة جسده .
فصدّقه والده وسامحه وطلب منه الانتقام من بهرام فوعده
خبراً وطمأنه منتهلاً حتى تهدأ الأحوال ويضعف بهرام .
لكن هذا الأخير لم يهدأ ، وأراد أن ينتقم من برويز لأنه
تبوأ ، فوجه جيوشه نحو النهروان ولاقاه برويز خارجاً
من طيسفون . فوقفا متقابلين على الضفتين . وأخذ برويز
بمآلقه وبقيادة جيشه بعده ، إن هو استسلم وإليه احتكم .

فكسر المساجين القيود ، وهجموا على هرمزد كالقسرود
وبينهم كستهم وبنديويسه . فخلعوه عن العرش ثم سملوا
عينيه وفجعوه بكرميتيه . ونادوا بشعار برويز ، الذي
جاء مُسرِعاً عن طريق أرمينية فوصل بغداد واستقبل
بالترحاب . فهدأت الخواطر وانفرجت السرائر .

لكنه هزى منه وصمم على قتله وأمر جنوده بمراسلة جنود بروجيز يدعونهم للانضمام، ويغروهم بالاستسلام فما قبلوا وقالوا: « الا ساعة اللقاء ». فاشتبك الجيشان في حرب هوجاء تمكن فيها بهرام من الانتصار ، وتحقيق حقه الغدار . فلما رأى بروجيز جنوده مجندين بالعراء تحت السماء الزرقاء ، هجم مع أصحابه وكبار قواده على بهرام فما استطاعوا المقاومة ووجدوا قوة مانعة . فانكفأ بروجيز راجعاً وفرس بهرام صائباً . فترجل هو أيضاً عن حصانه . وأخذ يتضاربان ويتصاولان لكنهما لم يقتلا . فلما مضى النهار ، رجعا إلى معسكريهما بعدما أمر بروجيز بقطع الجسر القائم فوق النهر . ففُطِيع . ثم توجه إلى طيسفون وأخذ يحصن المدينة بالأسوار المنيعه . ثم دخل على والده وأخبره بالهزيمة النكراء بعد الحرب الهوجاء . وطلب نصيحته في الاستعانة بالعرب الذين هم تحت الطلب . لكن الوالد لم يرضَ لقله مسألم وضعف عددهم . وأشار عليه بملك الروم الذي ينتمي إلى شجرة أفريدون . وبينما هما في هذا الحديث عكّلت الصيحات باقتراب الأعداء . فهرب بروجيز مع خاليه وتركا المدينة بعدما قتل أحد الخالين الملك هرومزد لأنهما ظنّا بعد دخول بهرام طيسفون أنه سيسلمه الحكم لغياب الابن .

دخل بهرام المدينة غير آبه بالأسوار المنيعه . فاختار ثلاثة آلاف فارس وسلم أمر قيادتهم إلى بهرام بن سياوش وأمره بلحاق الذين فروا وبجاية ملك الروم استجاروا . فسار حتى وصل إلى دير قديم كان قد قصده الثلاثة الهاربون . فلما علم بتدويهِ خال بروجيز بقدمه ، أمر ابن أخته بالهرب مُفدياً روحه ، لابساً ثيابه وتاجه . ثم قام وجلس على قمة الدير . فلما أيقن أنهم رأوه وعن بروجيز لم يفرقوه نزل وخلع الثياب . وأخذ يكلمهم من فوق الباب ، طالباً الانتظار حتى ينتهي الملك من الصلاة . فآمنه ابن سياوش ونزل عند طلبه . ثم أخذ يطلمهم مضياً وقتهم . فلما مرَّ يومان ، طلب الأمان وأفصح عن نفسه وبيان قصده . فقبّده ابن سياوش وأخذه إلى بهرام الذي سجنه ريثما يرى أمره . ثم ان جوبين بعد النصر المبين ، أخذ يتدبر للأمر مُتسبباً بفرحة الظفر . فجمع أعيان إيران وأعظامهم الأمان. فتكلموا بين مؤيد ورافض وناصح وكاذب . ثم أقرّ رأيه ، ونصّب نفسه ملكاً على إيران ، وكتب إلى الشعب رسالة يدعونهم فيها إلى الانقياد لحكمه والسير حسب رأيه. ومن لم يرد ذلك ، نصحه بالابتعاد والالتجاء إلى ملك الروم كما فعل ملكهم المروم .

حتى وصلوا مدينة المانوى . فاستقبل بالإجلال وتعظيم المقدار . وأخذ برونيز ما يريد من الطعام وتوجه إلى حضرة قيصر . وعلى الطريق مرّ براهب متنسك فأخذ يسأله ليعرف مستقبله . فأخبره الراهب بتحقيق قصده والرجوع إلى ملكه وقتل عدوه ، بعد مساعدة القيصر له وزواجه من إحدى بناته . لكنه حذّره من قريب ليس بالبعيد عنه اسمه بسطام (كستهم) الذي سيخرج عن حكمه ويقتل بأمره . ففرغ كستهم (خاله) ودعاه إلى عدم تصديق كلام الراهب . فوعده برونيز خيراً واستأنه جهراً . وأكملوا طريقهم إلى وريغ . فاستقبله رسول قيصر باستقبال حاشد بن وفد وافد وآخر ذاهب ، مقدّماً السلاح وكل ما يحتاج . ففسّر برونيز منه وأخذ يتحدث معه . وطلب إلى كاتبه خرّاد بتدبير رسالة إلى قيصر تسلبه لبّ عقله ، وتترع الثوب عن جسده . ثم أمره بالذهاب مع أصحابه الباقين . فذهبوا وفي حضرة قيصر امتثلوا . فاستقبلهم وسمع الطلب ، وأجلسهم على كراسي من ذهب . أما خرّاد بن برزین فلم يتجاسر على الجلوس إلا بعد قراءة المضمون . فلما قرأه وعرف قيصر ما فيه من طلب المساعدة وكبر المعاونة ، طلب مهلة للرد على الجواب ريثما يجتمع بالمستشار وكبار الأمراء . فلما اجتمع بالوزير بعد مشاورة

أما بندوقيه في سجنه ، فكان يتملق وعلى ابن سياوش يتخلق . وظلّ على هذه الحال حتى أمّنه الأخير وأخرجه إلى العالم المنير ، بعدما اغترّ بلسانه وحلو كلامه . فوعده بقتل جوبين والانتقام لعرش برونيز . فلما نازله في مباراة لبس درعه تحت ثوبه لاتقاء ضربته . فلما كان من بهرام إلا أن قتله بعدما عرف خطته من امرأته التي لم تكن تحبه . ثم أمر بندوقيه ، فلم يجده لأنه كسان قد هرب . فندم لأنه لم يقتله في السابق بل تركه إلى وقت لاحق .

وصل برونيز بعد فراره مع صحبه إلى مدينة فتلقاه أهلها بالاحترام وحمل الشراب والطعام . فارتاح مدة ثم سار ، إلى أن قرّب من الفرات . فوجد اعرابياً يدعى قيس بن حارث نحر ناقته لإطعامهم ووضع نفسه في خدمتهم . وسار معهم إلى أن وصلوا إلى مدينة من مدن الروم تسمى كارستان . فأغلق أهلها أبوابها في وجهه وامتنعوا عن استقباله لمدة ثلاثة أيام . فلما صار النهار الرابع ، أرسل الله على المدينة ريحاً عاصفة وأمطاراً باردة فانهدت الأسوار وفتحت الأبواب . فخرج الجميع مستقبليين ، وفي قصر كان لقيصر واضعين برونيز مع خاله وأصحابه . ثم قدّموا لهم الأطعمة والعلف وسائر المبار والتحف . وساروا

الأمير نصحه بعدم المساعدة مذكراً بأيام المقاتلة التي كانت تجري بين الروم والإيرانيين ، طالباً منه عدم التدخل لأنه أن الألوان لاتقضاض دولة إيران ، وأن برويز إن انتصر فسينسى مساعدته ويطلب خراجـه . ثم ذهبت الرسل ورجعت ، وبالردود جاوبت . فما كان من قيصر إلا أن مدَّ يد المساعدة بعد الإطلاع على أخبار المنجمين وأسرار العالمين . وأخذ وعداً من برويز بعدم الاقتراب من حدود دولة الروم ومسألة ملوكهم وعدم دفع خراجهم . فقبل برويز طلبه ووافق على المصاهرة للبرهان على حسن المعاملة.

ثم إن قيصر أراد أن يختبر ذكاء معاووني برويز ومساعديه.

فأمر سحرته بصنع تمثال لجارية حسناء لها من الحسن والبهاء ما جعله يدعي أنها ابنته . ثم طلب الى كُستهم وبالويه الدخول عليها ومعرفة سبب حزنها وانتحابها طول الوقت . فلما دخلا ، ورأياها على هذه الحال ، سألا . فلم يجاب سؤالهما . ثم دخل خرد بن برزین ، ولاحظ أنها تبكي على نمط واحد في هيئة واحدة . فأدرك للحال أنها تمثال ، وخرج لقيصر يعلمه بالحيلة ومعرفة الوسيلة . ففرح من ذكائه وفطنته وعرض عليه أعجوبة أخرى . لم ير مثلاً حتى كسرى . وهي فارس واقف في الهواء لا

عسكه شيء ولا يتكىء على حيط . فلما رآه ، عسرف خرد أنه من الحديد والبيت الذي فيه من المغناطيس الذي لا تخفى خاصيته في جذب الحديد ، وهو من صنع الهنود ، الذين لا تحدُّ عجائبهم حدود . ثم أخذوا يتشاوران وبالديانات يتسامران . فبين خرد محاسن ومساوىء النصرانية . وأظهر قيصر إعجابه بالثرادشنية . وتكلما عن دين الهنود وعدم تقديسهم أي معبود . فلما انتهيا ، أتى قيصر على خرد لسعة معرفته ووفرة علمه . وأفاض عليه الهدايا وأمره بالذهاب مع أصحابه الى برويز لإخباره بقدوم الجيش والعروس تحت إمرة أخيه نياطوس .

ارتحل العسكر الرجراج سائرين كالبحر المتتابع الأمواج . فوصلوا مكان برويز الذي ما أن رأهم ، حتى أقبل على نياطوس يقبله ويعانقه وعلى فيعل قيصر يشكره . ثم ذهب الى مكان مريم عروسه . فلما رفع دونها الحجاب رآها كالشمس وقد انكشف عنها السحاب . فبقي عندها مدة . ثم قام وارتحل والى أرض ملك الأرمن وصل . فاستقبله ملكها موسيل وخاله بندويه الذي كان قد اتصل بالملك بعد فراره من أرض بهرام . فنزل الجميع في خدمته وبالغوا في تكريم شخصه . فشكرهم وأثنى على موسيل ثم توجه الى

بيت النار وأخذ يصلي ويدعو الى الله بعدما نثر جملة من
الجواهر على النار .

عندما علم جوبين بخبر اتصال برويز بقيصر ، استدعى
كاتبه ورجلاً من خاصته يدعى داناستاه . وأمر الكاتب
بكتابة عدة رسائل الى أقرباء برويز الذين معه . يدعوهم
فيها للاختلاف وفي حضرته يكون الائتلاف واعداء إياهم
مناصب هامة ومراكز حساسة . وبعث هذه الرسائل مع
داناستاه الذي دخل اذربيجان متكرراً بزي تاجر . فلما
رأى برويز وما عليه من كبر القيمة وجلال الهبة ، دخل
عنده وأعلمه بأمر الرسائل فشكره ووهبه وعلى فعله أكرمه
وعظمه . وأمر كتابه بالرد بالموافقة ، لكن يوم
المنازلة . فلما استلم جوبين الردود ، انطلقت عليه الحياة
وترك المدينة مع عساكره متجهاً نحو اذربيجان للوقوف
على أحوال برويز وعدد الروم وعددهم . فلما رآه قواد
الروم ، استأذنوا برويز للقتال . فأذن لهم . فنزل كوت
الرومي كالديك الرومي . فها صمد ساعة أمام جوبين . ثم
التحم الجيشان وأشجع الشجعان . فقتل من الروم خلق
كثير . وأدرك برويز أن الروم لا ينفعون نظراً لمسا حل
من منون . فقرر منازلة جوبين مع أصحابه الإيرانيين .

٢٠٨

فلما أصبحوا ، رتبوا صفوف الجيش وتأهبوا للنزول .
ولما لم يبدأوا اقترب جوبين على فيله الأبيض نحو سابور
أحد قواد الإيرانيين مذكراً إياه بالخطاب . فانكر الأخير
قوله واستغرب كلامه ، فتقدم برويز وأعلم جوبين بانطلاء
الحيلة عليه واستدراجة إله . ثم أخذاً يتراشقان بالسهم ،
فنزل جوبين عن فيله ورجع الى معسكره . وبينما هو راجع
التقى بأخيه كردويه الذي أنبهه على سلبه الحكم من ولي
النعم ورجع كل واحد منها الى معسكره .

أما برويز ، فصمم على المنازلة وحده وقتل جوبين
بنفسه . لذلك انتقى أربعة عشر فارساً حتى يلازموه ،
والبقاء خلف ظهره ليحموه . ثم تقدم نحو معسكر بهرام
الذي ما أن رآه ، اختار من فرسانه أربعة ، ونزل للقتال .
فلما اقتربوا خاف أعوان برويز من قواد جوبين . فهربوا
وبقي برويز وحده . فأخذ يعدو هارباً ، وجوبين خلفه
لاحقاً ، حتى وصل الى جبل كبير الشعاب . فاختفى في
واحدة منها مسدودة الطريق . فأخذ يتضرع لله تعالى طالباً
الإنقاذ من المولى ، فنزل عليه ملاك على شكل فارس لم
ير مثله بين الفوارس . فأخرجه من الجبل ووضعه في
السهل ، مبشراً إياه بالانتصار واستلام عرش إيران . ثم

رجع الى عسكر الروم الذين امتلأوا بالهموم بعدما ظنوا أنه قُتل . فرحبوا برجوعه وسرّوا بعودته . فأمرهم بشن الهجوم تلو الهجوم والقضاء على جوبين .

هجم الليل على الفريقين وهم بالساحة مُحارِبين . وظهرت تباشير النصر لبرويز ، فتقدم بندوقه الى عسكر جوبين داعياً إياهم الى الانضمام قبل أن يحل السلام ، فيُجازون بفعلة قائدهم ومدبر هجومهم . فانحاز إليه معظمهم وتركوا البقية خلفهم مع جوبين الذي أثر الهروب بعدما حلت عليه الكروب ، فتوجّه الى ضيعة ، يريد الماء والخبز . فوجدهما عند امرأة كبيرة ، أطعمته واستقبلته ومن مائتها أشربته . ومن ثم وُجِئت بهرام جوبين على وقاحته وعدم الدخول تحت طاعة ملكه ، غير عالة بحاله وبحقيقة انتسابه . ثم قام بعدما نام ، قاصداً حضرة الخاقان بعدما لُحق جنود برويز ، فقبلهم وأسر قائدهم نستور لكنه لم يقتله بعدما تضرّع إليه .

جوبين في أرض الصين

دخل برويز معسكر بهرام ، فنهبه بما فيه ، وأرسل منه إلى قيصر ملك الروم معلماً إياه بالنصر وحلول الظفر . فاستلمها قيصر وأعاد بمثلها مع أثواب وصلبان مصبوبة من الذهب ومُحلاة بالياقوت والزبرجد . فلما استلمها لبسها مضطراً لإرضاء قيصر . ثم اجتمع على الطعام مع نياطوس وبندويه . فلما جلس ليأكل . أعطاه خاله البرسم ، فأخذه بيده وزمزم . فلما رأى نياطوس ذلك تنحى عن السباط وقال : « كيف يجتمع البرسم والصليب . فإنه ليلحق المسيح من ذلك الظلم الصريح ؟! » فلما رأى بندويه ذلك ، لطم صاحب الصليب بيده . فقام نياطوس من مكانه وتوجه الى عسكره . وقدم كالبرق الساطع في الليل المظلم الى خيمة

رآه جوبين ، تعجب من أمره وسوء خلقه فسأل الخاقان عنه ، فأجابه : « إنسه بطل شعبنا ، وجالب نعيمنا . فإن لم نعطه المال ، جر الفساد الى هذه البلاد . وبهذا نهىء راحته ونستكفي شره » . فعرض عليه جوبين أمر قتله والخلاص من أمره . فقبل الخاقان .

ولما كان اليوم الثاني دخل مغتوره طالباً المال . فلم يلتفت إليه ملك الصين ، بل ردّ عليه جوبين . طالباً المنازلة بدل المشاجرة . فالتقيا وبالنبال تراشقا . وتمكن جوبين من بطل أمة الصين ، فازداد أمره عند الخاقان ، وأخذ يدخل عليه دون أن يطلب الاستئذان .

وكان مرة أن بلغ شعبان بنت الخاقان من الخاتون . فاهتمّ واغتمّ وطلب من جوبين تخليص الصين من أمر هذا الشعبان الذي يشبه التنين . فامتثل لأمره وخرج بقوسه وسيفه قاصداً الجبل حيث مركز الشعبان . فلما وجدته والى عين ماء استدرجه ، رشقه بسبع نشابات ، وعاجله بعدة ضربات ، قطعّت جسده ومزقت رأسه . ثم نزل من الجبل مسروراً ومن فرحة النصر مبهوراً . فاستقبل بالترحاب . وبقي في تلك البلاد ، عالي اللواء راكباً صهوة العلياء ، مرموقاً من بين كل الأتراك . وزوجه الخاقان ابنته وجعله صهره .

بروين طالباً تسليمه بندوقه . فتدخلت مريم زوجة بروين وطلبت من زوجها تسليمها بندوقه حتى تأخذه الى خيمة عمها . فلما وصلا ، قام نياطوس مستقبلاً وعن إساءته مساحاً . ثم رجع معه الى حضرة بروين ، فوهبه الأخير الخليع السلطانية والجواهر الدرية . وأفاض على الجنود . ثم قام وتوجه الى بيت النار . فلما وصله ، اعتكف فيه أسبوعين شاكراً ربه ، موفياً وعده بتفريق الأموال على المظلومين والفقراء . ثم ارتحل من اذربيجان وسار الى انديو من أرض سورستان . فلبس التاج ، وجلس على عرش جده كسرى أنوشروان .

وصل جوبين الى حضرة ملك الصين . فاستقبله بالإجلال والاحترام وإظهار المودة والوثام . فلما وقف على طلبه بالمساعدة ومد يد المعاونة ، وعده بالخير ومنعه من السير الى ملك الهند لطلب المعاونة إن رفض . فأكرمه وخصص له إيوانين مزينين بالفضيات والذهبيات ولم يفارقه إلا في المناسبات .

وكان عند الخاقان رجل شجاع وبطل مقدام يدعى مغتوره ، خدم أمة الصين وجلب لها النصر المبين . وكان كل يوم يحجيء الى بيت المال ويأخذ منه ألف دينار . فلما

علم برويز بمكانة جوبين عند الخاقان ، وبفضيله اياه حتى على الذهب الابريز . فأرسل اليه رسولا يؤنبه ، وعلى ايواء بهرام يوبخه . ذاكراً له من هو جوبين ، حتى يكون في خدمة ملك الترك والصين . فلما استلم الخاقان رسالة برويز ، ورأى ما فيها من إنذار بعد طول الانتظار ؛ رد عليه برسالة أعنف وبعبارات لم تخل من التهديد باحتلال بلاد ايران . فلما قرأها برويز مع مستشاريه نصحوه بالمداورة واستعمال المناورة ، حتى يأمن شره ويسلم حربه ، فاختر خرداد بن برزوين للذهاب الى ملك الصين ، ولإيغار صدره ضد جوبين . وحمله بالهدايا وآلاف العطايا . فلما وصل ، وفي حضرة الخاقان امثال ؛ وجد ان جوبين قد ترك أرض الصين وذهب لمحاربة برويز . فبقي في ضيافة ملك الصين رداً من الزمن . استطاع خلال هذه المدة من إحلال الصداقة واستطلاع الأخبار بالملاحظة . وتمكن مرة لما يعرفه من علم الطب ، من الدخول على الخاتون متكرراً بزي طبيب وذلك بمساعدة صديق . فاستطاع أن يشفي لها ابنتها المحموعة . وامتنع عن تقبُّل هداياها المعروضة وفاءً لجميله وحسن صنيعه ، ووعدها بترك الهدايا لغير مناسبة . فنزلت عند طلبه وعملت بأمره ، فلما حانت المناسبة طلب منها توقيع ملك الصين على إذن لرجل من رجال برزوين ، أراد

منه أن يرحل الى أقربائه ليعلمهم بحاله . لأن بهرام كان قد طلب من الخاقان أن يمنع العبور من جيحون ، إلا بأمر منه ويختم خاتمه الذي في إصبعه . فأخذت الخاتون طينة ، وضعتها على خاتم الخاقان . فانطبعت وخرجت بها ودفعتها الى خرداد . فأخذها الى رسوله المعتاد ، وأمره بالذهاب الى بهرام في يوم بهرام (هو اسم اليوم العشرين من كل شهر) . فإنه يتطير من هذا اليوم ويتشاءم به . فلما ارتحل ، والى مخيم بهرام وصل ؛ طلب مقابلاته . فلما أصبح في خيمته ، اقترب من صدره وطعنه بنجنجره ، فتأوه من الطعنة وارتج من الوقعة على الأرض . فجاءت أخته تلطم خدها وتندب حظها . وأخذت تلومه على جهله في معاداة برويز وخدمة الخاقان . فهدأ زوعها وكفكف بكاءها ونصحها عدة نصائح طالباً منها الذهاب الى دولة ايران وطلب الأمان . ومات بعد أن سلم قيادة جيشه الى صديقه يلان . أما الرسول الذي قتل بهرام فإنهم صلبوه ، وعلى يديه ورجليه ضربوه حتى كسروها . وتركوه مرمياً في صحن الدار .

لما علم ملك الترك والصين بموت جوبين ، اجتمع مع الوزراء والأمراء لمعرفة الحقيقة في قتل الذي استجار بهم

وترك المدينة . فلما وقفوا على دقائق الخطة وعرفوا الذي قام بالمهمة ، حرقوا أولاده وجروا الخاتون بقرونها ، ونهبوا من خزائنها ودورها ما استطاعوا . ثم لبسوا السواد وقعدوا للحداد . وأرسل الخاقان رسالة الى أخت بهرام يعزّيها بأخيها ويعلمها بحفظ مكانها وعلو شأنها في نفسه ، طالباً منها الارتحال إليه للزواج منها والبقاء في قصرها . فلما قرأت الرسالة ، وعدته بالانتظار بعد الاعتذار لأنها ما زالت في الغراء والكلام في الزواج كأنه هباء . ثم قامت وجمعت جيشها خلسة تريد الارتحال الى إيران لأن البقاء في بلاد توران يجلب الشر والهلاك خصوصاً على الغرباء .

علم الخاقان من أخيه طبرك بما عزم عليه أخت بهرام . فطلب منه المسير إليها وإرجاعها معه . فإن أبت أمره بالحرب بعد التهديد بالضرب . فلما وصل الى مكانها ، دعاها للرجوع وتنفيذ أمره المسموع . لكنها رفضت ودعته الى المباراة كالرجال غير آبهة بمكانتها كربات الحجال . فبارزها ومات من سهمها . وهجم يلان بعد مماته على صحبه وعساكره فبذد شملهم وفرق جمعهم . وسار مع أخت بهرام حتى وصلوا آمل طبرستان . فالتصفت هناك بكستهم ، خال برونز ، الذي التجأ الى مازندان هرباً من

بطش برونز الذي أراد أن يفتك به بعدما فتك ببندويه ، خاله الثاني ، لأنه قتل هرمزد قبل الالتجاء الى الدير ومن ثم الاتصال بملك الروم .

استدعى برونز كردويه شقيق بهرام معلماً ليايه نخطته والزواج من أخته إن هي قتلت زوجها كستهم . فلما وصلتها رسالة برونز مع شقيقة لها ، خنقت زوجها وأسرجت خيلها تستعد للرحيل من مازندان الى إيران . فلما وصلت ، نزل برونز واستقبلها وأحسن وفادتها . فترلت في خدمته . وسلمتها أمر جواريه بعدما أظهرت له كيف قتلت شقيق الخاقان .

ومع أن جوبين قد توفي ، ومن هذه الدنيا استكفى ، فإن برونز رأى مرة اسمه على قلدح من أقداحه ، فذهب واقفاً وعليه حاقداً . وأراد أن يولتي على الري والياً يخرب قصورها ويهدم بيوتها وبذلك يكون قد انتقم من بهرام لأن الري مسقط رأسه ومكان تربيته . فولتي عليها رجلاً غريب الأوصاف ، امتلاً قلبه بالإجحاف على بني البشر ليقبح خلقه ونقصان عقله .

مضى الربيع وجاء الشتاء . ولم يبق في الري أي أثر

للبقاء ، لأن الوالي أجبر سكانها على الرحيل بعدما ملأوها بالعويل على هدم البيوت وإحراقها بالنزوت . فسكنتها الجرذان بعدما كانت ملأى بالعمران . ونزلت أبراجها الى الأرض بعدما كانت تتبارى في السماء على الركض . وهجرتها الطيور بعد السنابر وعشت مكانها العقبان والدبابير .

ولما كان الربيع الثاني خرج برويز في حفلة صيد مع زوجته أخت بهرام ، التي اصطادت سنوراً كبيراً . فزنته وبهرجته وعلى فرس أركبته ، وأمرته بأن يعدو بين يدي برويز . فلما عدا ، ضحك برويز منها وسألها عن حاجتها . فطلبت منه عدم قتل السنور وإرجاع الري الى ما كانت عليه ، فترل عند طلبها وصرف والي الري من خدمته وندم على فعلته .

ثم ان برويز ، صرف همه في ترتيب البلاد وخدمة العباد . فنظم الجيش وقسمه وأرسله ليحمي حدود إيران ، وفرق كل قطعة نقد باسم هرمزد على المتظلمين والمساكين . وقتل كل من كانت له معاملة مع قاتلي أبيه . وقسم ساعاته وأيامه وشهوره على مصالح الملك والدين ومناهج العالمين وخصص لكل شيء وقته ويومه . فوقت للنظر في الأمور ، وآخر للمسموع والمنظور . وقسم للهو واللعب ، وآخر

للعيش والطرب . فعمرت بلاده وخدم عباده ورزقه الله ولداً من بنت ملك الروم ، سمّاه قُبّاذ وشيروه . فالأول لنفسه والثاني للعامة . وأراد من منجميه وعالميه الاطلاع على مستقبل شيرويه . فلما طلبوا النجوم وعرفوا بما تخوم ، أخبروا برويز بأن ابنه سيكون شريراً وسيتزل في ممالكه تخريباً . فعظم عليه ذلك وجبس نفسه مدة ، عاد بعدها الى مجائسه مسلماً أمره الله . ثم كتب الى عمه ملك الروم ينبئه بقدوم المولود . فقرح به كثيراً وأرسل له ما لا يمكن وصفه ، مهئناً بالوليد ويوم مولده السعيد ، طالباً منه إرجاع خشبة الصليب ، وكان برويز قد غنمها في إحدى معاركه في بيت المقدس . فلما وصل الرسول وهو رجل يسمى خانكي ، قرأ الرسالة خرّاد بن برزین ؛ فاجتمع مع أعيانه وكبار مستشاريه ، وامتنع عن إرجاع عود الصليب لأنه لو فعل سيُظن فيه السوء وتغير السلوك ، والانتقال من الزرادشتية الى النصرانية . ففضل إبقاء الخشبة عنده ، وأرجع الرسول بطرائف من بلاد الهند والصين ومصر مُعْتذراً عما بدر مُقرّآً لما صدر .

الدافئة والورود الناضرة . فحنَّ قلبه ورجا وده . وأمر بوضعها في خيمته الذهبية المشاة بالخيوط الفضية . ولما انتهى من صيده ، تزوجها وإلى زوجاته ضمَّها فامتنع رجاله وجافوه نظراً لما كانت عليه شيرين من قبح السيرة والأخلاق الحقيرة .

وفي يوم طلبهم ، وأمام طست ذهبي مملوء دماً وضعهم . فأمر بإراقة الدماء وتنظيف الطست . فعاد يرق كأنه الشمس الطالعة من بين الغيوم الداكنة ، وقال لهم : « هذه حال شيرين . فخذ وقعت في حُبِّي ، أخلصت لقلبي ، وغسلت ذنوبها وطهرت دروبها . فصارت طاهرة بعد أن كانت مساوياً ظاهرة » . فرضوا عن الملك وعادوا إلى مجالسه . ونصَّب شيرين ملكة بعد أن وضعت السم لمريم بنت قيصر فقتلتها ، لأن برونز كان يبقى معها ولا يفارقها .

واهتم برونز بما كان للجدود لأنه ممن التحف التي لا تعود . وكان لأجداده من عهد افريدون إلى عهد كسرى ، عرش " كبير مُزِين " بالآلَاء والجواهر . اجتمعت عليه نوائب الزمان فلم يسلم من الأمان . وكان البعض من أجداده يزيدون عليه ، والبعض الآخر ينقصون منه ، حتى جاء

قصص كسرى برونز

وقصة شيرين قصة ، تروىها وفي حلقتها غصة . فقد كان برونز يؤثرها ، وعلى غيرها من النساء يفضلها ، لكنه لما انشغل وبحروبه حلَّ وارتحل ، ابتعد عنها ولم ينشغل بغيرها . فلما هدأت الأحوال وعادت إلى الانتظام بقي مُبعداً نفسه ، كأنما حبه إلى أن كان نهار ، خرج فيه إلى حفلة صيد مصطحباً الجواري والغلمان والخدم من بني الإنسان ، إلى جانب النمر والأسود وضاربي العود يتقدمهم عدد كبير من الشبان معهم الرجس والزعفران يرشونها لتركية الأجواء بعد الرياح الهوجاء . فلما خرج بموكبه الحافل تتقدمه الجحافل ، عرفت شيرين طريقه ، فتصدته وبشته لواعج حبها وخائبى قلبها وذكرته بالأيسام الغادية : أيام الحب

عدم السماح بدخول من كان أحلى منه صوتاً وأوفر علماً .
ومن بينهم بهربند العواد، الذي ما أن سمعه بعضهم نصحوه
بالدخول الى الملك ليعرض صوته ويبرز علمه في العزف على
العود وكشف الحسود . فلما أراد الدخول منعسه الحاجب
ممثلاً لأوامر سيركيس .

وظل بهربند يحاول الدخول ويتخيل المأمول، حتى صادق
بستانياً كان الملك يدخل الى بستانه لينعم بأفيائه وأظلاله
وهو في مجالسه بين مغنيه ومسامريه . وصدف مرة أن جاء
الملك وجلس تحت شجرة سرو باسقة يريد الارتياح وشرب
أقداح الراح . فذهب البستاني ودعا بهربند . فجاء وتسلق
الشجرة وأخذ يغني بأصوات مختلفة . فسرَّ الملك من
صوته . وأخذ يفتش عنه ولا يجده . وظل يشرب وذاك
يغني حتى ثمل فتزل من أعلى الشجرة وقدم نفسه وحكى
قصته مع الحاجب . فأنب برويز سيركيس واتخذ بهربند
مطربه الخاص بعد أن أثراه وقدَّمه على أقرانه من
أهل زمانه .

وبنى برويز الإيوان الذي ما زالت أقسامه قائمة حتى
الآن . وهو الذي وصفه البحري في سينته المشهورة
حين قال :

الاسكندر ففرق منه وخرَّب بعضه . لكن أردشير الذي
حكم ومن الاسكندر استلم ؛ أعاد جمع ألواحه وكل
عيدانه . فلما كان عهده انقضى له ألفاً ومائة وعشرين
أستاذاً . كان مع كل أستاذ ثلاثون تلميذاً ليعيدوا العرش
على ما كان عليه زمن جاماسب . فرتبوه وزينوه وبآلاف
الجواهر رصعوه . وكان من فرط طوله وعرضه ، يواجه
الجبال من ناحية ، والبساتين والسهول من ناحية أخرى .
وعملوا فيه صور البروج السيّارة وأفلاكها ومنازل القمر
ومقياس ساعات الليل والنهار حتى كأنما وضعت فيه السماء
بما فيها . وكان يُقسم الى أربع طبقات . كل طبقة بجواهر
تختلف عن غيرها . فالأولى للرعية . والثانية للأمراء والقواد .
والثالثة للدستور والوزير . والرابعة لبرويز . وكان إذا
جلس ، فرش له بساط طويل ، أهدي له مسن بلاد
الصين منسوج بالذهب والجوهر . صورت فيه صور البروج
والكواكب مع صور جميع من ملك الأرض الى عهده .

وكان برويز يشمل الجميع بعطفه وبحسن خلقه، خصوصاً
المغنيين وأصحاب الأصوات المعروفين . وكان قد استصفى
مُغنياً يدعى سيركيس ، لحسن صوته وقوة أوتار حنجرته .
وكان سيركيس هذا ، قد رشا حاجب برويز وطلب منه

فهو يبدي تجلداً وعليه كل كل من كلاكل الدهر مرسي
ولبنائه اختار أحذق الصنّاع والحفّار . ووضعهم تحت
إمرة رومي صمم له البناء بالشكل المطلوب . وكلفه أن
يبقى البناء حتى ولو صار هو في دنيا الفناء . فهو يريد
لابنه أن يجلس فيه ويحكم منه ، ولأحفاده أن لا يرتحلوا
عنه . فجعل الجدران قوية قادرة على الصمود على نواثب
الزمان ، وعمّرها بالجص الذي لا يتأثر بالثلج والمطر ولا
بعوامل الدهر . فارتفع البناء بهجة للنظر ومرتعاً للقمر .
وبقيت القبة . فاستمهله الرومي حتى يشتد البناء ولا يتهدّم
إذا صار في دنيا الفناء . لكن برويز استطال المدة ، وأمره
ببناء القبة . وأعطاه ثلاثين ألف دينار حتى يسرع في العمار .
لكنه هرب وعجز غيره عن إتمام الطلب . وظلّ كذلك
ثلاث سنين . فلما كانت السنة الرابعة ، ظهر وذهب إلى
برويز . فلما سأله عن فراره ، أجابه بأخباره قائلاً :
« لما كانت الحجارة لا تشتد إلا بمرور الزمن ولا تسيح
كالسمن من نور الشمس ، كأنها صنّعت بالأمس .
وجدت من الأفضل أن أتواري ، وغيري في صنع البناء
لا يتبارى . واليوم لو رأيت الإيوان فقد نقص عما كان .
ولو بنينا القبة حين أمرت بالعدة ، لتهدمت على من فيها

وقتل مستظليها » . فاستصوب برويز رأيه ، وعمل بما
أراده لإكمال البناء ومناطحة الساء . فاشتغل به وانتهى منه
بعد سبع سنين من العمل . وكان من عادة برويز أن يجلس
فيه يوم النبروز ، ينظر في أحوال الرعية كأنه في المجالس
الأهلية وحواله الوزراء والكتّاب والأسواق المشتملة على
النفائس والأعلاق .

وعظم أمر برويز . فامتد حكمه على ممالك إيران
وتعداها إلى بلاد توران . وأصبحت كل البلاد تدفع لسه
الحراج ، فعمرت خزائنه بالمال الذي لم يكن على البال .
وسمّى كنوزه بأسماء معينة . فهذا « باذاورد » أي محمول
الريح لأنه وجد على شاطئ بحر ، قدفته الأمواج وحملته
الرياح إلى ذلك الشاطئ . وذلك كتر افراسياب . وآخر
المجرّق . فلما انتشى من سكرة المجد ، تحول في حكمه
عن الجلد . فطغى واعتدى وولى حارساً كان على بابيه
يدعى زاذفرخ إدارة ممالكه وشؤون ملكه . فنهب القصور
وأحرق الدور . ووضع يده بيد قائد قواده المدعو جرازاً ،
الذي قاطع برويز وراسل قيصر داعياً إياه إلى احتلال بلاد
إيران . فهب قيصر بجنوده بعدما أتته رسل جرازاً . لكن
برويز عسرف بالأمر وتخلّى بالصبر وأرسل كتاباً إلى جرازاً

ثمينة تخص برويز . فسأله عن أصلها وسبب وجودها معه .
فأخبره أنها لبستاني أمره بشراء بعض الطعام والشراب لرجل
يشبه الملك . فأمر شيرويه زاذفرخ بالتوجه الى ذلك البستان
وإعطاء الأمان لأصحاب المكان . فلما وصل رأى برويز
الذي كان قد هرب من قصره لما سمع بأمر قتله . فتوجه
الى ذلك البستان بعدما غيّر المكان . وأعطى الغلام تلك
الجوهرة ليشترى بشفنها ما يسد جوعه ويروي ظمأه . فقبض
عليه زاذفرخ وأركبه على فيل وأرسله الى طيسفون بأمر من
ولده قبّاذ . فتحبس هناك بعد أن حكم ثمانى وثلاثين
سنة .

يهنته بخداع الروم وجلبهم الى إيران بعد قطعهم بلاد
توران . وطلب من الرسول أن يُوقِعَ نفسه بين يدي
قيصر . فلما وقع وقراً قيصر الرسالة الموجهة الى جراز ،
تنبّه للخطة . فأمر جيشه بالرجوع الى بلادهم ، وأرسل
رسالة الى جراز يوبّخه ويعتفه ، وعلى خيانتة له يؤثبه .
فأرسل له جراز رسولا يفهمه الحيلة التي عملها برويز
للإيقاع بينها . لكنه لم يفتنع ، ولم يرجع .

أرسل برويز رسالة الى جراز ، يطلب منه إرسال
الجنود الذين راسلوا قيصر وكاتبوه ، فأوفد إليه اثني عشر
ألفاً . أمراً لياهم بالظاهر والتوافق . فلما وصلوا وتحت
أمره زاذفرخ اجتمعوا ، أمرهم بالفوضى وكثرة الشكوى
من حكم برويز . ثم دخل على الملك يعلمه بشكواهم
وكثرة بلواهم ، ففطن برويز للحيلة . لكنه لم يستطع أن
يفعل شيئاً لزاذفرخ . لأنه كان قد تواطأ مع رجاله على
خلعه وتنصيب شيرويه مكانه . ولأزم زاذفرخ باب برويز .
وأرسل قائده نخوار جلب شيرويه من الأسر . وكان والده
قد أسره ، وفي قصور بابل وضعه بعدما خرقها ووصلها ،
حتى يكون حراً في أسره ويرتاح الناس من شره . فلما وصل
شيرويه أو قبّاذ . أدخلوا عليه غلاماً صغيراً ، معه جوهرة

بالآلىء والجواهر وفي يده سفر جليلة . فلما دخلوا وقعت
السفرجلة الى الأرض . فتطير منها وتشاءم بها . ولما سمع
الرسالة ، أقام المقارنة بينه وبين ولده ، وأرجعهم بالجواب
مُظهراً الأسباب التي دفعته ليفعل ما ذكره ولده . فمن
يبعث الصليب إلى الروم ، فسَيُظَنُّ به سوء وفعل المكروه .
ومن يجبس الإخوة ، فخوفاً من طمعيهم وكبر جشعهم ،
وهم إذا حُبِسُوا إنما وضعوا بقصور متصلة وبساتين
معشبة . فلم يكن الجبس حبساً ، بل روضاً ومتلعباً . ومن
انتظر في أخذ ثأر أبيه ، فلائه كان مهموماً ، وبأمر
استرداد الحكم من بهرام كان مشغولاً ، فلما استتب له
الأمان عاقب بندويه وجعل زوجة كستهم تخفقه . فلما سمع
قُبَاز تلك الأجوبة ، انفرد بنفسه وأخذ يبكي ، عالماً أن
الأمر ليس بيده ، بل بيد الذين نصبوه وسُدُّوا الحكم
سَلَمَوه .

ثم إن بهربذ العواد سمع ما أصاب برونز ، وتغير
حاله التي لم تبقَ مثل الذهب الإبريز . فقَدِمَ الى طيسفون ،
وزار مكان المجون . فانتحب بكاءً وعلى عز برونز
نزل مُغَنِّياً . فمن يصدق أن صاحب الإيوان يضيق عليه
الزمان ويسجن في مكان ضيق مثل حبات الرمان ؟ أين

الانهيـار

اختار قُبَاز عندما استلم ، وعلى عرش السلطنة حكم ،
شيخين طاعنين هما خَرَّاد بن برزبن واسفاز كشسب .
أوفدهما الى طيسفون لإصلاح الحال بينه وبين أبيه . وبعث
معها رسالة ذكر والده فيها أنه إنما صار به ذلك فن كثرة
ما أصيب به الناس في عهده بالهوالك ، فن يسفك دم
أبيه ، ويحاول تفريق الأخ عن أخيه ، ويمتنع عن إرسال
الصليب ويجبس أولاده عن الحكم السليب .. فلا عجب ان
صار مكانه السجن بعد فقدان الأمن ! فحملوا الرسالة
وتوجهوا الى طيسفون . فاستقبلا بالإكرام من قبِل حارس
برونز الذي دخل معهما . فأدوا السلام وأظهروا الوثام
لبرونز الذي كان جالساً على بساط منسوج بالذهب ومرصع

المجالس والأعراس التي كانت من بهائنا تحبس الأنفاس ؟ أين الغز والسلطان ، هل ضاق بهما الزمان ؟ أم تحولا الى غير مكان ؟ أين العساكر الجرّارة مثل البحار الهدّارة ؟ أين المرح ؟ أين الفرخ ؟ أين الراح الذي كان يُصّب في الأقداح ؟ أين ؟ وأين ؟ وأين ؟ أين كل هذا ؟ فقد ذهب مع ذهاب بروجيز الذي عاد وقتله رجل " كان ماراً في الطريق ، قبيح الصورة ، حافياً بائساً جائعاً بأمر من زاذ فرخ الذي ظلّ مع أعوانه وأصحابه يلحّون على قبّاذ بقتل الوالد ، لأنهم تضايقوا من تفاهم الولد والوالد . ولما لم يستطيعوا أن يقتلوه بأنفسهم ، وجّهوا ذلك الرجل بعدما أغضوه وأشبعوه . فدخل على بروجيز وقتله بخنجر كان معه . فلما انتشر خبر قتله ، دخل الطغاة الملاعين والبُغاة الشياطين الى محابس أولاده فقتلوهم جميعاً دون أن يحرك قبّاذ ساكناً .

بعد ثلاث وخمسين يوماً من مقتل بروجيز ، أرسل قبّاذ رسالة الى شيرين يهددها ويؤنبها ويخاطبها بالساحرة الفاجرة ، ويدعوها الى حضرتها . لكنها رفضت المجيء لما سمعت بفعله البذيء . ثم عاد وأرسل وراءها . فجاءت بلباس الحداد وقطعة سم بيدها ، بعد أن أخذت منه وعداً بوجود مشايخ الدولة وأعيان الحضرة . فلما مثّلت بين يديه ،

أخذت تبرىء ساحتها وتنقذ نفسها متهمة قبّاذ بالضلال وسوء الانحلال . ولما طلب قبّاذ منها الزواج ، طلبت منه الإنصاف في ثلاثة أشياء ، هي السيرة الحميدة والخصال الجميلة مع الزوج والأولاد ، التي أشهدت عليها الأعيان ، فشهدوا لها بالأمان ودّعوها الى الاطمئنان . أما الحاجة الثانية فهي إرجاع ما كان لها من صامت وناطق ، وهذا ما شهدت به الخلاق . فكتب قبّاذ كل شيء كان لها وباسمها . أما الحاجة الثالثة فطلبت منه السماح لها بزيارة قبر بروجيز لتجديد عهده وهو في لحده . فسمح لها بالزيارة . فلما صارت بقربه ، أكلت من قطعة السم التي كانت معها . فماتت للحال . فلما انتهى الخبر الى قبّاذ أخذ في البكاء والعويل حتى مرض من فرط الجزع . فمات بعد أن سَمّمه . وانتقل الأمر من بعده الى ولده أردشير الذي أحسن التدبير لكنه لم يُحسن التنصيب . فوضع على قيادة جيشه رجلاً يدعى فيروز الذي اتصل به جراز حارس الحدود من جهة الروم . فزَيّن له الأمور ووعدته بالسُرور إن هو ساعده على هلاك أردشير دون أن يعرف الكبير ولا الصغير . فعمل برأيه وانفرد بنفسه ، وزار مرة أردشير في قصره المنير ، فجلسا للشراب وسكر أردشير من كثرة شربه . فقام فيروز وكمّ فيه خانقاً أنفاسه . فمات ونصبوا

مكأنه فرائين الذي لم يكن من بيت الملك . فأسرف في التبذير ولم يعرف كيف يُدير . فقرغت الخزائن ، واجتمعوا ضده في المدائن بقيادة جراز دون أن يعلم . فلما كان معه جراز في حفلة صيد وجهَّ إليه قوسه وقتله . ولما لم يجدوا أحداً لتنصيبه ، وضعوا بوران بنت برويز فوعدتهم بالعدل والإنصاف ، والجمع بعد الائتلاف . وأرسلت في طلب فيروز قاتل أردشير . فقتلته بعدما كتفتته وربطته . وماتت بعد أن مرضت . ثم جاءت أختها أزرمدخت فحكمت أربعة أشهر ثم قضت نحبها ولحقت صحتها . فاستلم شقيقها فرخ زاد ، وهو من الذين فروا يوم مقتل والده فالتجأ إلى حصن بناحية نصيبين . لكنَّه لم يحكم إلا شهراً من الزمان ، لأنه سقي سماً فمات .

النهائية

قد تكون الأحلام نهاية للسلام ، فكما لكل شيء بداية كذلك له نهاية . فالدولة قد ضعفت ، وأحوالها تفككت . والملوك الذين ولَّوا لم يطوَّلوا . وقد آذنت الشمس بالمغرب بعد ظهور الدين الجديد . وقد قال المنجمون لبرويز : « ستهي الدولة بعد ذهابك ، بحفيد يكون على بابك . علامته نقص في جسده ورجحان في عقله . فإن لم تبادر إلى الانتقاذ ، فقلَّ على الدولة السلام » . فهرع إلى أحفاده ، يفتش في أجسادهم عن علامة نقصهم . فلما لم يجدها ، منع أولاده عن الجماع والاقتراب من النساء . وكان له ولد يُدعى شهریار بدون نسب ولا قرار ، تبنته شيرين وجعلته حارسها الأمين . فلما أصدر برويز قراره ونفَّذ

أمره ، غلبت على شهریار شهوة الجماع ، حتى سلبته النوم والقرار ، فأرسل الى شيرين يعلمها وعن حاله يخبرها . فأرسلت له جارية خفية ، فضاجعها وحملت منه ولداً ، في أحد وركيه نقص . فلما عرف به برويز ، منعه من المثول أمامه ، وأرسله الى ديسار بعيدة وأخفى أمره عن أهل العقيدة . فلما مات فرخ زاد ، فتنشوا في السجلات وعرفوا مكانه . فجلبوه وولوه وعلى عرش ليران وضموه . فلما استلم قرر أن يحكم بالعدل والإنصاف مُبعداً عن شعبه أمور الاختلاف . وبقي مدة مشغولاً في حكمه وبناء دولته حتى ظهر الدين الجديد يدعو الى المحبة والتوحيد . وأوفد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، « سعد بن أبي وقاص » الى شعب ليران يدعوهم الى الإسلام واجتنب الحرام . فولى يزدرجرد قيادة جيشه الى رستم . فكانت وقعة القادسية التي انتصرت فيها الدولة الإسلامية . وكان رستم منجماً ، وعلى أحوال الفلك مُطلماً . فلما اطلع على النجوم ، رأى دلائل الانتهاء قد بدأت تخوم . فكتب كتاباً الى أخيه يخبره عن مراثيه . وينصحه بجمع المال والأثمان والاعتصام في أذربيجان . ثم كتب رسالة أخرى الى « سعد بن أبي وقاص » ، يحذر فيها العرب من نيل القصاص . ثم أخذ يحقرهم على وضاعة أصلهم

وبساطة عيشهم ، ورث ملابسهم ، وفضاظة طعامهم ، مُتباهاً بغنساء ملوك العجم وسيطرتهم على سائر الأمم . وأرسل الرسالة مع فيروز بن سابور أحد أمرائه ، وجماعة من أمثال الفرس بالملابس الفاخرة والهدايا الباهرة . فاستقبلهم «سعد» وأكرمهم واعتذر لهم عن بساطة المكان ، وفضاظة الإنسان القادم من الصحراء . ثم ردّ على الرسالة بجواب أعقل وبأسلوب أشمل . داعياً الى المحبة والإيمان والدخول في دين الإسلام . ثم وصف الجنة ونعيمها، والسعير والعذاب الزمهرير . ودعاه الى طاعة الرسول وعبادة الإله الواحد . وإن لم يعبد ، فملك الدارين له مُسلم ، وهو على التاج والعرش مقرر محكم . ثم أعطى الرسالة الى رسوله شُعبة الذي ما أن وصل الى حضرة يزدرجرد حتى استقبله أكابر ليران وأعيان الزمان . فدخل عليهم وحيّاهم بتحية الإسلام وأعطى الرسالة الى يزدرجرد الذي ما أن قرأها ورأى ما فيها من وعد ووعد وحرب وتهديد حتى قام للقتال . فبارز رستم « سعداً » وانهزم ، والجثث من خلفه في إكم من شدة القتال والعطش . ثم تابع المسلمون القتال ووصلوا الى بغداد ، فتقابلوا مع فرخ زاد شقيق رستم ، الذي من شدة بطشهم وكثرة عددهم ، دخل على ملكه يزدرجرد . فنصحه بالمغادرة واجتنب المغامرة . فترك بغداد

قاصداً مرو لما بينه وبين ملكها ماهويه من صداقة وكثرة معايشة . فهو الذي ولّاه بعدما كان راعياً ، وعلى كرسي مرو وضعه مُساعداً ، وهو بالرغم من لؤمه سيساعده ، وعلى غيره من الأمراء سيفضله . معتمداً أيضاً على مساعدة المالك المجاورة خصوصاً بعد إتمام المراسلة . فترك بغداد ووصل مرو بعدما مرَّ بـُست ونيسابور وطوس . فاستقبله ماهويه مُعفراً وجهه في التراب ، ومن ثم أوصله إلى الباب واضعاً جنوده في خدمته ، وعدته في تصرفه . ففرح فرخزاد بذلك وتوجه إلى الري بإذن من الملك .

وصلت الأخبار إلى مرو بأن « سعداً » قد استولى على المدائن وسائر ما تاخها من الممالك . فعملت في رأس ماهويه الحيلة وأخذ يفتش عن وسيلة للحصول على السلطنة والجلوس على عرش المملكة . فتقاعس عن خدمة يزديجرد وراسل بيزن ملك سمرقند من بلاد الترك يعلمه بقرب نهاية يزديجرد والدخول تحت طاعته إلى الأبد . فأرسل الأخير والده برسام ، ناوياً على عدم إحلال السلام . فقابل يزديجرد في مرو بجيش عظيم . وتتابعت الضربات على الإيرانيين ، ولم يكونوا من المنتصرين . بل هرب معظمهم بعد خيانة ماهويه لهم . واستطاع برسام اللحاق بيزديجرد بعد فراره واختبائه في

طاحونة قديمة . لكنه لم يتمكن منه لانشغال جنوده بفرس يزديجرد المحلي بالذهب وأعواد القصب .

افترش يزديجرد التراب وهو في تلك الطاحونة الحراب . فلما جاء صاحبها ، وجدته على تلك الهيئة ، وعلى وجهه وثيابه الذهبية آثار الهيبة . فقدم له الطعام وسأله عن جنود برسام الذين كانوا قرب الطاحونة . فنكر يزديجرد أمرهم وجهل بحثهم . وأخذ يأكُل . ثم طلب البرسيم ليأكله مع الطعام . فذهب الطحّان لي جلب منه ، وعند دار زعيم المنطقة سئل عنه (أي عن يزديجرد) . فوصف أوصافه ، وأخبرهم أنه في بيته يأكل طعامه . فعرف الزعيم أنه يزديجرد ونصحه بإبلاغ ماهويـه . فلما حضر عنده ، سأله عنه . ثم أمره بالذهاب وقطع رأسه . لكن العلماء نصحوه وعن غيـه أبعـدوه . فلا يجوز قتل صاحب النعمة الذي عامله بالمحبة . فتظاهر أنه رضي ، وعن رأيه ابتعد . فلما أمسى أحضر ثقاته للمشاورة وتحضير المؤامرة . فنهـم من أقرّ قتله ، وبعضهم فضّل حبسه . فوجد أنه إن سُجن ، فلا مأمـن منه ومن مؤازرة الجنود له . وأنه إن قُتل فبحيلة يستطيع الاستيلاء على الملك والادعاء بأنه الحق . فأمر الطحّان بقتل يزديجرد . وأرسل وراءه بعض

غلامه للتأكد من قتله والاهتمام بتاجه وطوقه وخاتمه . فذهب الطحان وقتل يزديجرد . وجاء الغلمان ورموا جسده في الماء . فانتشلها في اليوم الثاني بعض الرهبان ، كانوا في دير على شط الماء . فبكوه وانتحبوه وفي ناووس كفتوه . فلما علم ماهويه بحالهم أمر بقتلهم وإحراق دبرهم ، ففعلوا .

فهرست

ثم انه اجتمع بوزيره ومشير أمره . فاستطاعا الإدعاء أن يزديجرد لما عاجلته المنية ، أوصى إلى ماهويه تنفيذ الوصية التي تقضي بتنصيبه على ممالك إيران من خراسان الى سائر البلدان . فسلم التاج والعرش مدعياً أنه الحق بعد كذبة لم يكن فيها أي نوع للصدق . ثم جمع العساكر وعبر جيحون يريد منازل بيزن الذي ساعده على يزديجرد . وحجته في ذلك الانتقام من ملك الترك كما أمره الملك يزديجرد قبل مماته . فلاقاه الأخير بفلول جيشه وضخامة عدده واضعاً على رأسه ابنه برسام . فلما تقابلا ، استطاع برسام منه ، لما وقع عن الفرس واندقت رقبته . فحمله برسام الى أبيه الذي أمر بقطع أعضائه وإحراقه مع ثلاثة من أولاده قبض عليهم في المعركة . فساتوا وخلا عرش إيران . فلكها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ناشراً الإسلام منراً للحق ومكاناً للصدق .

٥	١ - ما قبل الانشقاق
٩	٢ - الانشقاق
١٤	٣ - أفريدون
٢٦	٤ - الأبطال الثلاثة
٣٩	٥ - الأيام العvisية
٥٤	٦ - قصة رسم وسهراب وسياوخش
٦٧	٧ - الثأر
٩٥	٨ - موت البطلين
١١٤	٩ - الملوك الأربعة
١٢٢	١٠ - الإسكندر
١٣٣	١١ - الساسانيون
١٤٥	١٢ - بهرام جور وقصصه
١٦٣	١٣ - والد كسرى

١٦٩	١٤- كِسرى أنو شروان
١٧٩	١٥- بزرجمهر والشرننج وكسرى
١٨٩	١٦- ظهور بهرام الملقب بجوبين
٢٠١	١٧- العدوآن اللودان
٢١١	١٨- جوبين في أرض الصين
٢٢٠	١٩- قصص كِسرى برونز
٢٢٨	٢٠- الإنهيار
٢٣٣	٢١- النهاية